الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de la recherche scientifique

جامعة 08 ماي 1945 قالمة — Université 08 Mai 1945

كلّية الآداب واللّغات — Faculté des lettres et des langues

الرّقم:.....

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر

تخصّص: لسانيات تطبيقيّة

الحجاج وآلياته اللّسانيّة في " مقالات " عيون البصائر " لمحمّد البشير الإبراهيمي أنموذجًا"

إعداد الطّالبة: خولة فركوس

تاريخ المناقشة: 2019/07/08م

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرّتبة	الصّفة	الجامعة
د. فريدة زرقين	أستاذ التعليم العالي	رئيسًا	جامعة 08 ماي 1945
أ. كمال حملاوي	أستاذ مساعد (أ)	مشرفًا ومقرّرًا	جامعة 08 ماي 1945
أ.الطّاهر عفيف	أستاذ محاضر(ب)	ممتحنًا	جامعة 08 ماي 1945

السّنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م.

من حَسُنت لغتهُ ..

حَسُن فكره ..

ومن حَسُن فِكره ..

وقع نفعهُ ..

إهداء

إلى من كانا سببا في فرحتي ونجاحي ...

إلى أمي وأبي..

إلى كل أفراد عائلتي ... إلى صديقاتي ..

إلى من عرفت كيف أجدهم ... وعلموني ألاّ أضيعهم ....

إلى من أتذكرهم ... ولم أذكرهم ..

إلى من زرع التفاؤل في روحي ... إلى من كان ملجئي وملاذي ..

إلى من أعطى من فكره ... لينير دربي ... فأنار بعلمه عقلي ...

إلى من علمني الحرف ...

أهدي..

خولة

مقدّمة

سعت التّداوليّة إلى الكشف عن آليات تحقّق مقصديّة المتكلّم من خطابه؛ فكان الإقناع أحد تلك المقاصد الّتي يروم المتكلّم تحقيقها، حيث إنَّ المخاطِب يسعى لإقناع المخاطَب بفكرة معيّنة، أو رده عن اعتقاد معيّن عبر الاتكاء على حجج دامغة، مبنيّة على أسس متينة، وبذلك عُدّ الحجاج حقيقة تواصليّة راسخة، ومرتكزًا أساسًا لإقناع المتلقّي من خلال آليات خاصّة؛ لأنَّ الهدف الأوّل للّغة هو تحقيق التّواصل، وخلق التّفاعل بين المتحاورين بتوخي كل طرائق ووسائل الحجاج والإقناع الممكنة.

إذ لابد للكاتب من وسائل لغويّة تربط عناصر خطابه وتوجّهه حتّى يحقّق الوظيفة الحجاجيّة، وأهم هذه الوسائل: الرّوابط والعوامل الحجاجيّة؛ الّتي تستدعي الحجّة؛ للوصول إلى النّتيجة الّتي يتطلع إليها مبدع النّص، وهو مجال يستحق الدراسة والتّحري.

وعليه كان عنوان دراستنا: " **الحجاج وآلياته اللّسانيّة في مقالات (عيون البصائر) لمحمّد البشير الإبراهيمي أنموذجا** "؛ إذ سلك الإبراهيمي في مضمونها مسلك الحوار خاطب فيها أفراد أمّته العربيّة والإسلاميّة، مقيمًا عليهم الحجّة والدّليل بالتّمثيل الحسّي الملموس، المستمد من الواقع، ومتّخذًا من القضيّة الفلسطينيّة محورًا وموضوعًا أساسًا، بل وهدفًا مشروعًا، حيث وقف فيه منها موقف المرشد والناصح، بلغة بليغة راقية، فبلغ من التّأثير في متلقّيه حد الإقناع، فالإذعان، فالانقياد.

هذا وتنحصر إشكالية بحثنا في جملة استفهاميّة محدّدة، بيانها ما يلي:

– ما الحجاج؟ وما هي أهمّ اتّجاهاته في المنجز الأدبيّ العربيّ والغربيّ قديمًا وحديثًا؟

– وفيم تتمثل وظائفه؟ وما هي آلياته، ومظاهر تجليه عبر النسيج الحجاجيّ في النّص الأدبي؟

– ما هي أهمّ الآليات اللّغويّة الحجاجيّة؛ الّتي اعتمدها النّص الإبراهيمي؟

– وما مدى نجاعة تلك الرّوابط والعوامل ضمن استراتيجيّة الحجاج المتبناة في النّص الإبراهيمي، وكيف استطاعت تحقيق وظيفتها الحجاجيّة داخل تّركيبها اللّغوي في مقالات الإبراهيمي؟

وقد اقتضت الدّراسة الاعتماد على المنهج الوصفيّ بآلياته: التّحليليّ؛ للتّعريف بالظّاهرة الحجاجيّة اللّسانيّة، وبحث تفرعاتها، وتقصي آلياتها اللّسانيّة واللّغويّة، وطرائق تمثلها في الخطاب الحجاجيّ. وذلك بالاعتماد على بعض النّصوص من مقالات الإبراهيمي وتحليلها ومناقشتها انطلاقًا ممّا قدمه الدّارسون والمختصّون في هذا المجال، وكذا الإحصائي؛ بتعيين عدد تكرارات الرّابط اللّساني الحجاجي، وما يترتب عن ذلك من الدّلالات المعززة لنزعة الحجاج لدى كاتبنا محمّد البشير الإبراهيمي.

ولكن هذا لا ينفي استعانتنا بأدوات بعض المناهج الأخرى، كالمنهج التّاريخي من خلال رصد مفهوم الحجاج، وتتبُّع مسار تطور نظرياته، وكذا المنهج التداولي.

وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع لعدّة أسباب موضوعية؛ نذكر منها:

– قلّة الدّراسات الّتي عالجت موضوع الحجاج من منظور لغويّ خالص، يبتعد عن أشكال المعالجة البلاغيّة التّقليديّة.

– أهمّية موضوع الحجاج؛ كونه موظّفًا في كلّ أنماط الخطاب، وأنواع النّصوص.

– نُدرة الدّراسات الحجاجيّة الّتي أولت النّص النّثري بالدّراسة والاهتمام، خاصّة مقالات الإبراهيمي الّتي لم تنل حظّها من الدّراسة الحجاجيّة، مع توافر آليات الحجاج اللّساني فيها من خلال ما لصاحبها من الثقافة الموسوعيّة، وما له من الأسلوب الإقناعي الجزل المميز الّذي تنوّعت وسائله بين: حجج عقليّة، وحجج تاريخيّة، وحجج دينيّة، وحجج لغويّة. تؤكد جميعها جمع البشير بين العرض الممتع والفكر المقنع في آن.

ويبقى موضوع الحجاج من الموضوعات المطروقة، وذلك من خلال عدّة دّراسات سابقة، اهتمّت بموضوعة الحجاج عمومًا؛ نذكر من بينها:

- " **الرّوابط الحجاجيّة في شعر أبي الطّيب المتنبي- مقاربة تداوليّة** "، **لخديجة بوخشة، (2010/2009).**

- و" **البنية الحجاجية في ديوان " لا تعتذر عمَّا فعلت " لمحمود درويش – تناول تداولي**"، **لحمداني نسيمة، (2015/2014).**

وحتّى يستجيب البحث لطبيعة مضمونه، ويضمن جوابًا صريحًا عن إشكاليته المطروحة، وزعناه على فصلين، مسبوقين بمقدّمة، ومتبوعين بخاتمة. أمّا الفصل الأوّل فكان عنوانه: " **الحجاج بين النّظريّة والتطبيق** "؛ وهو فصل نظريّ، حاولنا الوقوف فيه على مفهوم الحجاج ونشأته من خلال أهمّ النّظريات الغربيّة، ثم عرّجنا على علاقة الآليات اللّسانيّة من روابط وعوامل بالحجاج.

بينما تطرقنا في فصلنا الثاني؛ الّذي عنوانه: " **دراسة تطبيقيّة للآليات اللّسانيّة الحجاجيّة مقالات جمعيّة العلماء وفلسطين للبشير الإبراهيمي أنموذجا** "، وهو فصل تطبيق يّتعرض إلى بعض الرّوابط والعوامل الحجاجيّة في النّص الإبراهيمي؛ من خلال دراسة بعض الآليات – لا كلّها – الّتي استعان بها الكاتب، وأسهمت بشكل كبير في حجاجيّة نصّه.

في حين حصرنا حيز الخاتمة مجمل ما توصلنا إليه من النتائج؛ الّتي تمثّل إجابة صريحة عن إشكاليّة البحث المطروحة.

ولكي يكون بحثنا أكثر ثراء، وأدقّ تأسيسًا، اعتمدنا على عدد من المصادر والمراجع الرئيسة قديمها وحديثها؛ وهي:

- " **الجنى الداني في حروف المعاني** "، **للمُرادي**.

- " **دلائل الإعجاز**"، **لعبد القاهر الجرجاني**.

- " **أسلوبيّة الحجاج التداوليّ والبلاغيّ** "، **لمثنّى كاظم صادق**.

- " **اللّغة والحجاج** "، **لأبي بكر العزّاوي**.

- " **استراتيجيات الخطاب / مقاربة تداوليّة بلاغيّة** "، **لابن ظافر الشّهري**.

وكأي بحث لا يخلو من عوائق وصعوبات في إنجازه، فقد صادفنا شيء من ذلك:

- طبيعة الموضوع في حدّ ذاته؛ فالحجاج موضوع متشعّب، لا يمكن الإلمام بجميع جوانبه؛ لكثرة المجالات الّتي يتفرع إليها.

- أسلوب محمّد البشير الإبراهمي؛ الّذي يصعب على الدّارس فهمه، وتتبُّع مقاصده وأبعاده؛ بحكم انتماء الرجل لمدرسة الصّنعة اللّفظية، ونزعته الكلاسيكيّة الظاهرة.

وفي الأخير نسأل المولى – عزّ وجلّ – أن يوفّقنا في بحثنا هذا إلى ما نحب من السداد والنّجاح، وأن يجعله موضع إفادة لمن يأتي بعدنا من الطلبة الباحثين، مع توجيه شكرنا الخالص للأستاذ المشرف، ولأعضاء لجنة المناقشة الموقّرة، والّتي ستقيّم مذكرتنا بما يخدمها، ويزيد من أكاديميتها، فيضمن لها الوجاهة والمصداقيّة.

الفصل النّظري: الحجاج بين النّظريّة والتّطبيق.

أوّلاً: مفهوم الحجاج.

ثانيًا: نشأة الحجاج.

ثالثًا: الآليات اللّسانيّة.

- **تمهيد:**

شهدت العديد من العلوم، ولا زالت تشهد جملة من الآراء المتباينة والأفكار المختلفة وقد طرح هذا التّباين تعدّدًا واضحًا في وجهات النّظر، فأفضى ذلك إلى البحث عن آليات عديدة تتكفّل بمهمّة التّأليف بين المتنازعين حول هذه القضايا الخلافيّة، فكان الحوار هو النّهج الأمثل للوصول إلى اتفاق الطّرفين، جمعًا بين الآراء والأطروحات المختلفة في إطار طريقة حواريّة ناجعة، ممّا مكّن كل طرف من أنْ يَعرِض ما لديه من أفكار وأطروحات مراعيًّا أُطر هذا الحوار العلميّ الممنهج.

ومعلوم أنَّ النّقاش آليّةٌ فاعلةٌ تَحمِلُ المتنازعين على طرح القضيّة الخلافيّة وتقديم الحجج المناسبة الّتي تساند المتحاور وتعضّد رأيه، كما تفصح عن وجهة نظره؛ بل وتدفعُ المحاجِج إلى جعل الطّرف الآخر مقرًّا ومعتقدًا بما يراه، وهو يفعل ذلك بهدف إقناعه، وهكذا يكون الحجاج عملاً حواريًّا ينهض على فكرة استمالة المتلقّي عبر الخطاب، فيجعل العقل يذعن لما يُطرح عليه، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان ليُحدث في المتلقّي انقلابًا في الفكر والاعتقاد والوجدان.

- **أوّلا / مفهوم الحجاج:**

يُعدّ الحجاج ميزةً فعّالةً من ميزات التّخاطب الانسانيّ، وركّيزةً أساسةً للنّصوص المتضمّنة للنّقاش والجدل؛ لأنَّه يعمد إلى التّأثير والإقناع.

أ- الدّلالة اللّغويّة:

تُشير لفظة الحجّة والحجاج في مدلولها اللّغويّ في معاجم اللّغة العربية إلى عدّة معان نذكر منها:

ما جاء في معجم لسان العرب: **(الحَجُّ هو القَصْدُ، حجَّ إلينا فلان: أي قَدِم وحَجَّهُ يَحُجُّهُ وحَجًّا: قصده [...] يُقالُ حاججْتُهُ أُحَاججُّهُ حجاجًا ومُحاجَّة حتّى حَجَجْتُهُ؛ أي غَلَبْتُهُ بالحججِ الّتي أدليت بها [...] وقيل الحُجّة ما دُفِع به الخصم)**[1].

نلاحظ من خلال ما ورد في اللّسان أنَّ الحجَّة يراد بها البرهان الّذي يدفع به الخصم والحجاج يكون في موضع الخصام بين الطّرفين المتنازعين، وهذا ما دلّت عليه (غلبته بالحجج الّتي أدليت بها)؛ أي أنَّ الغلبة تكون للّذي يُقيم الحجّة والأدلّة على صحة ما يدّعيه.

وجاء في معجم الوسيط في مادة **(حجج): << (حاجَّهُ) مُحَاجَّةً وحجاجًا: جادلهُ وفي التّنزيل العزيز:** ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ **(البقرة 258) [...] والحجّة الدّليلُ والبُرهان >>**[2].

وردت الحجّة هنا بمعنى الدّليل والبُرهان؛ لأنَّ الحجاج سلسلة من الأدلّة والبراهين المستخدمة في موضع الخصومة، كما نجده يرادف مصطلح الجدل، فكلّ من المحاجِج والمجادل يستند إلى حجج وأدلّة تدعّم رأيه لإقناع المحاجَج بوجهة نظره. وذكر الزّمخشريّ (ت538ه) في تعريف الحجاج: **(حجَجَ: احتجَّ على خصمه بحُجّةٍ شهباء وبحجج شُهبٍ وحاجَّ خَصمهُ، فحجَّه، وفلان خصمه محجُوجٌ، وكانت بينهما مُحاجَّة ومُلاجّةٌ)**[3]. ونقصد بفلان خصمه (محجوجٌ)؛ أي مغلوب، كون المخاطب قد اقتنع بحجج المخاطِب.

---

[1]– أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة، مصر، دط، دت، ج10، ص778، 779.

[2]– مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، ط4، 2004م، مادّة (حجج)، ص156، 157.

[3]– أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص169.

بناءً على ما جاء في معاجم اللّغة، نخلص إلى أنَّ الحجاج له معانٍ لغويّة عديدة منها: القصد، والبرهان، والجدل والغلبة بالحُجّة، والظّفر بالخصم.

ب- الدّلالة الاصطلاحيّة:

يعدّ الحجاج استراتيجيّة لغويّة وممارسةً فكريّةً يعتمدها المتكلّم لإقناع المتلقّي **(عمليّة خطابيّة تواصليّة تُدخل المتكلّم في علاقة مع الغير؛ بهدف تغيير معتقداته وآرائه وأفكاره اتّجاه دعم أو إثبات دعوى معيّنة أو دحضها باستعمال آليات لغويّة مباشرة ولغويّة غير مباشرة ممّا لها علاقة باللّغة)**[1]، وبذلك يعدّ الحجاج **(جنسًا خاصًّا من الخطابات، يُبنى على قضيّة أو فرضيّة خلافيّة، يَعرضُ فيها المتكلّم دعواه مدعومةً بالتّبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًا، قاصدًا إقناع الآخر بصدق دعواه والتّأثير في موقفه أو سلوكه تجاه القضيّة)**[2].

فالقضيّة الخلافيّة القائمة بين المُحَاجِج و المُحَاجَج هي محور العمليّة التخاطبيّة فالمتكلّم يعرض وجهة نظره مصحوبة بحججٍ مقنعةٍ بهدف التّأثير في المتلقّي؛ لأنَّ الحجاج ينطلق ممّا هو بديهي ولا خلاف فيه ليبني دعامات تبرّر دعواه فهو: **(خطابة تستهدف استمالة المتلقّي والتّأثير في سلوكه؛ أي الإقناع)**[3].

غير أنَّ هذه الأدلّة الّتي يعرضُها المحاجج **(ليس من شأنها أنْ تكون حاسمةً فاصلةً فيما تُثبِت أو تنفي)**[4]، فالنّتائج المتوصّل إليها بعد كل نقاش ليست يقينيّةً محضةً فقد

---

[1]- عبد الرحمان بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنّقد الحديث، مجلّة البحث العلميّ في الآداب، جامعة الفيصل، كليّة الأمير سلطان، ج2، ع19، 2018م، ص17.

[2]- محمد العبد، النّص الحجاجيّ العربيّ، دراسة في وسائل الإقناع، مجلّة فصول، ص44.

[3]- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتّصال، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، دط 2000م، ص7.

[4]- مر ن، ص106.

يرفضها المتلقّي، وقد يردّ على المتكلّم بالمثل، **(فالمُحرّك الأوّل للحجاج هو الاختلاف؛ فهو لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي، فنحن لا نحاجِج في أمر مأخوذ على أنَّه حقيقةً يقينيةً راسخةً كالحقائق الرّياضيّة مثلا، أو في أمر مأخوذ على أنَّه أمر صارم واجب النّفاذ، وإنَّما يكون الحجاج، كما يقول بيرلمان فيما هو مرجّح وممكن ومحتمل)**[1].

والحجاج أداة لمناقشة الأفكار وآليّة مهمّة في محاورة الأطراف المشاركة في عمليّة التّواصل، ويرى عبد الحليم بن عيسى أنَّ الحجاج يُؤسّس على **(وجود اختلاف بين المرسل للرّسالة اللّغويّة والمتلقّي لها، ومحاولة الأوّل إقناع الثّاني بوجهة نظره بتقديم الحجّة والدّليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معيّنة في الاتّصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتّأثير فيهم، وبالنّتيجة إقناعهم بمقصد معيّن)**[2]، فهو ينبني أساسًا على إيجاد وسائل تُمكّن من تبنّي وجهة نظر واحدة وإقصاء وجهات النّظر البديلة من خلال توظيف الحجج الدّاعمة أو الدّاحضة، وهذا ما جعله يكّتسب مكانةً عظيمةً بين العلوم، وفي ذلك يقول الباجي (ت474هـ): **(الحجاج من أرفع العلوم قدّرًا وأعظمها شأنًا؛ لأنَّه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحقّ من المحال؛ ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتضحت محجّة، ولا عُلم الصّحيح من السّقيم، ولا المعوجّ من المستقيم)**[3].

فالحجاج إذن علم له أركانه وطرائقه؛ لأنَّه السّبيل إلى معرفة الحقيقة وتمييز الحقّ من الباطل، فهو يكّتسي أهميّته من الوظيفة الّتي يؤدّيها داخل الخطاب؛ والخطاب الحجاجيّ كمصطلح ومفهوم ليس حديثًا ولا من مستجدّات العصر؛ وإنَّما له جذور تراثيّة معلومة.

---

[1]- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتّصال، ص107.

[2]- البيان الحجاجيّ في إعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء أنموذجًا (بحث)، مجلّة التّراث العربيّ، اتّحاد كتّاب العرب، دمشق، ع102، أفريل 2006م، ص102.

[3]- المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 2001م، ص8.

- ثانيًا / نشأة الحجاج:

تُعزى نشأة الحجاج إلى القرن الخامس قبل الميلاد؛ وتحديدًا إلى الحركة السّفسطائيّة الّتي رَوّج لها فلاسفة اليونان القدماء في تلك الحقبة الزّمنيّة، في سياق محاوراتهم الفلسفيّة مع طلاّب الحكمة إذ ذاك.

وقد مارس هؤلاء الفلاسفة جميعًا الحجاج لتحقيق أغراضهم، ومبتغاهم في متعلّميهم بيد أنَّهم لم يقدّموا له تعريفًا؛ يكشف دلالته الاصطلاحيّة ويقيّدها، فهم مارسوه كآليّة من آليات الحوار والمناقشة والمناظرة بهدف إقناع المتعلّمين وخصومهم، أو في سياق الرّد على معارضيهم في مواقفهم وآرائهم.

ثمَّ صار من بعدهم ركيزة الفكر الفلسفيّ ومسلكه إلى إقناع الطلاّب والمعارضين، كما يظهر ذلك عند الفلاسفة: سقراط، فأفلاطون، فأرسطو.

وظلّ كذلك الحجاج آليّة من آليات الحوار الفلسفيّ والفكريّ، ومرقى كل الخطباء والفلاسفة في الدّعوة المقنعة ومجابهة الخصوم إلى عهودنا المتأخّرة، بل وحظي بعناية كبيرة من قبل العديد من الباحثين الغربيين المحدثين، بعدما ازدادت الحاجة إليه بفعل التّراكم والتّشعب المعرفيين؛ اللّذين يشهدهما عصرنا، تحت وطأة تعدّد النّزعات والاتّجاهات الفكريّة والأيديولوجيّة، والفنيّة.

وقد انطلق هؤلاء الفلاسفة من تراثهم الأرسطي يتحرّون سبله ويمارسونه بكثير من الفعاليّة والاحتراف والتفنّن، ولعلّ أبرزهم: بيرلمان، وديكرو، مايير، وتولمين.

أ - الحجاج عند بيرلمان (perelman):

يعود الفضل في الاهتمام بالبلاغة الجديدة وإحيائها وبعثها من جديد إلى الفيلسوف شاييم بيرلمان، بمشاركة لوسي أولبيريخت تيتكاه في كتابهما: **(رسالة في الحجاج)**.

إذ ارتبطت **(البلاغة الجديدة)** الّتي هي العنوان الفرعي للكتاب بالتّقليد البلاغي الأرسطي وقامت بتحديثه[1]؛ أي أنَّها إحياء للبلاغة الكلاسيكيّة الأرسطيّة وبعثها في قالب جديد.

وقد تمثّلت غاية هذا الكتاب **(البلاغة الجديدة)** في إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الّذي ظلّ لفترات طويلة مرادفًا للمنطق[2].

عرّف بيرلمان وتيتكاه الحجاج تعريفات عدّة في مواضع مختلفة من كتابهما أهمّها قولهما: **(موضوع نظريّة الحجاج هو درس تقنيات الخطاب الّتي من شأنها أنْ تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يُعرض عليها من أطروحات أو أنْ تزيد في درجة ذلك التّسليم)**[3].

فالحجاج عندهما قائم على التّقنيات والأساليب الشّكليّة أو الرياضيّة، الّتي تُلزِم السّامع بقبول الأطروحة والاقتناع بها.

يتميّز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسة؛ هي[4]:

1. أنْ يتوجّه إلى مستمع.

2. أنْ يعبّر عنه بلغة طبيعيّة.

---

[1]– فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريّات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النّشر العلميّ، جدّة، الرّياض، ط1، 2011م، ص41.

[2]– ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنّف في الحجاج والخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكاه، ضمن أهم نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منشورات كليّة الأدب، منّوبة، تونس، 1998م، ص298.

[3]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2001م، ص27.

[4]– محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النّقد المعاصر دار، الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص108.

3. مسلماته لا تعدو أنْ تكون احتماليّة.

4. لا يفتقر تقدّمه – تناميه – إلى ضرورة منطقيّة بمعنى الكلمة.

5. ليست نتائجه ملزمة.

لا يُغفل بيرلمان السّامع أو المعني بالحجاج حيث يعدُّه **(السّبب الفعلي الّذي لولاه لما كان حجاج أصلاً)**[1]، وهذا لفاعليّته في تشكّيل معالم المادّة الحجاجيّة الكبرى الّتي يقدّمها الخطيب أو الكاتب.

كما استند الباحثان في تعريفهما للحجاج على دمج الجدل بالخطابة في نموذج موحّد أطلقا عليه اسم: البلاغة الجديدة.

وعليه فالحجاج عند بيرلمان نظريّة فلسفيّة مؤسّسة على بُنى منطقيّة رياضيّة هدفها الإقناع؛ أولى فيها بيرلمان أهميّة للأساليب اللّغويّة، كما اهتم بظروف المخاطب والمقام.

ب- الحجاج عند ديكرو (Ducrot):

تهدف نظريّة الحجاج اللّغويّ الّتي أرسى دعائمها **(أزوالد ديكرو) << Aszwald Ducrot >>** في كتابه **(الحجاج في اللّغة) << L'argumentation dans la langue >> بمشاركة (جان كلود أنسكومبر) << Jean-claudAnscombre >>** إلى دراسة الوسائل اللّغويّة، فكلّ كلام حسب هذه النّظريّة حجاج، والحجاج هو **(إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللّغويّة، وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج الّتي تُستنتج منها)**[2]، ويُقصد بها تقديم الحُجّة الّتي تُفضي إلى نتيجة معيّنة.

[1]- محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص ن.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، العمدة في الطّبع، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص16.

يتضمن الحجاج عند ديكرو إنجاز العمليتيّن: الأولى تتعلّق بما يقدمه القول من الحجج، والثّانية بما يحيل إليه هذا القول من استنتاجات.

فهذه النّظريّة تريد أنْ تبيّن أنَّ اللّغة تحمل بصفة جوهريّة (**Intrinséque**) وظيفة حجاجيّة، وبعبارة أخرى هناك مؤشّرات عديدة لهذه النّظريّة في بنية الأقوال نفسها[1]، بمعنى أنَّها تهتم بدراسة الجوانب الحجاجيّة في اللّغة.

وخلاصة القول: ألاَّ تواصل بغير حجاج، ولا حجاج بغير تواصل، وهذا تجسيد لتلك الفكرة الشّائعة الّتي مفادها (**أنَّنا نتكلّم عامّةً بقصد التّأثير**)[2]

ج – الحجاج عند مايير(Meyer):

قام مايير من خلال نظريّته بوضع قواعد نظريّة ذات طابع فلسفيّ، سعى من خلالها إلى تحديد طبيعة الكلام ووظيفته التّساؤلية؛ فلما كان الكلام إثارة للسّؤال أو استدعاء له، لزم أنْ يتولّد عن ذلك نقاش يولّد بدوره حجاجًا، فالحجاج له محايث لاستعمال الكلام؛ لأنَّ الكلام يتضمّن بالقوّة سؤالًا يُستمدّ منه دلالته؛ يقول مايير: (**إنَّ استعمال اللّغة (في نهاية المطاف) يعني إثارة الانتباه حول سؤال مفترض، قد نكون متّفقين حول مضمونه أو قد لا نكون لكنَّه يشكّل نقطة انطلاق التّواصل بين النّاس**)[3]، فنحن حين نتكلّم فإنَّنا نهدف إلى إثارة تساؤلات للوصول إلى نتيجة معيّنة سواء أكانت مقنعة أم غير مقنعة، ويشكّل هذا التساؤل

[1]– أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص14.

[2]– مر ن، ص ن.

[3]– عبد الجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص التّرغيب والتّرهيب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016م، ص285.

بداية عمليّة التّواصل. وقد عرّف مايير الحجاج بقوله: **(هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه)**[1].

وظّف في تصوّره مفهومين أساسين في عمليّة الحجاج؛ هما: **(الضّمني)** و **(المصرّح به)**؛ فالمصرّح به هو ظاهر السّؤال، أمّا ماهو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السّؤال الواحد.

وفي هذا الإطار بالذّات يرتبط الحجاج بالبلاغة[2]، والبلاغة كما يحدّدها مايير تحديدًا وظيفيًا: **(مفاوضة المسافة القائمة بين الأشخاص حول مسألة أو مشكل)**[3]، ونقصد بها تهييئ الفضاء لإثارة السّؤال، وتقريب المسافة حسب السّياق والمقام.

يكمن جوهر العمليّة الحجاجيّة حسب مايير في ربط الحجاج بنظريّة المساءلة؛ ذلك أنَّ الحُجّة عنده عبارة عن **(جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدّر يستنتجه المتلقّي ضمنيًّا من ذلك الجواب، ويمكن أنْ نقول أنَّ الحُجّة هي عبارة عن جواب ضمني يُستخرج من الجواب نفسه)**[4]، فالرّابط الأساس بين الحجاج ونظريّة المساءلة يكمن في العلاقة الوطيدة بينهما؛ لأنَّ المتكلّم حين يتحدّث فهو يقدّم حججًا ليقنع الآخر، بناءً على أسئلة افتراضيّة توقّعها المتكلّم، وبالتالي فهو يقدّم جواباً للسّؤال المفترض الّذي تمّ طرحه ضمنيًّا.

---

[1]– ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص37.

[2]– محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظريّة المساءلة لميشال مايير، ضمن أهم نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص394، 395.

[3]– عبد الجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآني، ص285.

[4]– الحجاج في القرآن الكريم، ص38.

ممّا تقدّم نخلص إلى أنَّ الحجاج حسب مايير عبارة عن جواب لسؤال، وهو ما جسّده في نظريّته الّتي أسماها بـ : **(نظريّة المساءلة)**.

د – الحجاج عند تولمين (Toulmin):

يتّضح مفهوم الحجاج عند تولمين من خلال بحثه المقدّم في سنة 1958م بعنوان **<< uses of argument >>** ؛ الّذي استهدف دراسة الأدوات الحجاجيّة في الاستخدام اللّغوي، وقد ترجمه عبد الله صولة في كتابه " **الحجاج في القرآن الكريم** "، ويمكن أنْ نستنتج مفهوم الحجاج عند تولمين من خلال الرّسوم الحجاجيّة الّتي صاغها في كتابه، وقد حصرها في هذه الحالات الثلاث:

– الحالة الأولى: حجاج ذو ثلاثة أركان أساسة؛ هي: المُعطى **(المصرّح به)**، والنّتيجة والضّمان مثلا: عليّ جزائريّ **(مصرّح به)**، النّتيجة **(ليس شيعيًّا)**، الضّمان يكون ضمني **(أغلبيّة الجزائريين ليسوا شيعة)**.

– الحالة الثّانية: تمثّل حجاجًا أدقّ من الأوّل بحيث يُضاف إليه الموجّه، والاستثناء؛ مثل عليّ جزائريّ **(مصرّح)**، ليس شيعيًّا **(موجّه شبه مؤكّد)**، إلاَّ إذا تشيَّع أثناء دراسته بجامعات إيران **(استثناء)**.

– الحالة الثّالثة: وتمثّل حجاجًا أكثر دقّة بإضافة العنصر الأساس الّذي يُبنى عليه الضّمان ومثاله: **(بحكم أنَّ نسبة الشّيعة لا تكاد تذكر في الجزائر)**[1].

وتجدر الإشارة إلى حضور الحجاج في تراثنا اللّسانيّ العربيّ على وجه عظيم من الفعاليّة والعمق، بل ونزعم أنَّ الدّرس الحجاجيّ العربيّ الّذي تمثّله الجاحظ في كتابه **(البيان والتّبيين)**، ومن بعده الجرجاني في كتابيه **(أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)**، يقدّم كل ذلك

[1]– ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص22–24.

ممارسةً حجاجيّةً تفوق ما شاع في ثقافة الغرب وتراثهم، أمّا في الدّرس العربيّ الحديث فقد اهتمَّ العرب بالحجاج من خلال أعمالهم الّتي جاءت في شكل دراسات وأبحاث ومقالات جامعة بين ثقافة الموروث ومتطلّبات الفكر المعاصر، وهذا ما نجده جليًّا في أعمال طه عبد الرّحمان ومحمّد العمري وغيرهما.

- ثالثا / آليات الحجاج اللّسانيّة:

تعدّ اللّغة من أهم آليات الحجاج؛ لما تحمله من أساليب ووسائل إقناعيّة، فاللّغة بمستوياتها: الصّرفيّة، والصّوتيّة، والتّركيبيّة، والدّلاليّة، تحمل – بصفة جوهريّة – وظيفة حجاجيّة، فأغلب الحوارات بين المتخاطبين يكون الغرض منها التّأثير والإقناع.

وهذا ما ذهب إليه " ديكرو " في دراسته للحجاج، منطلقًا من فكرة **(أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير)**[1]، وتأسيسًا على ما وصفه " ديكرو " و" أنسكومبر " في نظريتهما " **الحجاج في اللّغة** " اللّذان استنتجا من خلالها أنَّ الحجاج بطبعه موجود في اللّغة، كامن فيها؛ لذلك اهتمّا **(بالوسائل اللّغويّة وبإمكانات اللّغة الطّبيعيّة الّتي يتوفر عليها المتكلّم؛ وذلك بقصد توجيه خطابه إلى وجهة ما تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجيّة)**[2].

إنّ الحجاج خاصيّة لغويّة ثابتة، واللّغة تحمل في طيّاتها آليات ومؤشّرات تحقّق هذه الوظيفة الحجاجيّة؛ إذ تبرُز الأدوات اللّغويّة كأهمّ الآليات الّتي تساعد على فهم الخطاب وتأويله.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأدوات اللّغويّة الحجاجيّة نوعان: الروابط الحجاجيّة (Les connecteurs) والعوامل الحجاجيّة (Les opérateurs).

---

[1]– أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص14.

[2]– مر ن، ص ن.

أ – الروابط الحجاجيّة:

يتحقّق الحجاج باستعمال أدوات لغويّة كالرّوابط الحجاجيّة، هذه الرّوابط الّتي يكون دورها الرّبط الحجاجيّ بين قضيّتين، وقد اقترح " **ديكرو** " وصفًا لهذه الرّوابط؛ وفي ذلك يقول روبول: **(قد أدّت أعمال " أوزوالد ديكرو " إلى شيوع الرّوابط التّداوليّة أو الخطابيّة في علم الدّلالة والتّداوليّة أساسًا)**[1]؛ إذ تعتمد منهجيّة " **ديكرو** " على **(وصف الشّواهد اللّغويّة أو النّصيّة في ضوء رؤية لغويّة حجاجيّة تركيبًا ودلالةً وتداولاً، من خلال التّركيز على مجموعة من المفاهيم الإجرائيّة مثل الرّوابط الحجاجيّة)**[2]. والرّابط الحجاجيّ هو مورفيم يصل بين ملفوظين أو أكثر جرى سَوقِهما في إطار استراتيجيّة واحدة؛ **(الرّوابط تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في استراتيجيّة حجاجيّة واحدة)**[3]، وعليه لا يمكن معرفة قيمة هذه الرّوابط الحجاجيّة إلاّ من خلال دورها في الرّبط الحجاجيّ بين قضيّتين، فوجود الرّابط لا يكفي للنّهوض بالدّلالة الحجاجيّة ما لم تكن هناك علاقة بين القولين؛ **(فلكلّ قول دور محدّد داخل الاستراتيجيّة الحجاجيّة العامّة)**[4]، وأبرز هذه الرّوابط: الواو، وثمّ، وأو، ولكنّ، وبل وحتّى وإنَّ، ولأنّ.

---

[1]– آن روبول وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشيباني، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص169.

[2]– جميل حمداوي، نظريّات الحجاج، شبكة الألوكة، ص41، www . alukah. Ner

[3]– أبو بكر العزّاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (بحث ضمن كتاب التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه) تنسيق حمّو النّقاري، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص63.

[4]– أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص27.

1- الرّابط الواو:

وهي أصل حروف العطف لكثرة استعمالها فيه، ومن معانيها: **(إشراك الثّاني فيما دخل فيه الأوّل)**[1]؛ فهي تعطف الشّيء على المصاحبة؛ نحو قوله تعالى:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(العنكبوت/15).

وعطف الشّيء على سابقه؛ نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد/26).

وكذلك العطف اللّاحق؛ نحو قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الشورى/3).

وتعدّ **(الواو)** من أهمّ الرّوابط، إذ ليس لها دور الجمع بين الحجج فحسب، بل تقوّي الحجج لتحقيق النّتيجة المرجوّة، فالواو رابط حجاجيّ مدعِّم للحجج المتساندة، ويستعمل لترتيب الحجج، ووصل بعضها ببعض[2]؛ أي أنَّها تستعمل حجاجيًّا لوصل الحجج، ورصّها وتماسكها، وهكذا تقوم بالضّغط على المتلقّي لتزيد من درجة إقناعه وإذعانه.

---

[1]- أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد، المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عظيمة، مطابع الأهرام، القاهرة مصر، دط، 1994م، ج1، ص148.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب: مقاربة تداوليّة لغويّة، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص472.

2- الرّابط ثمَّ:

يفيد هذا الرّابط التّرتيب والتّراخي بين المعطوف والمعطوف عليه، بمعنى أنَّها **(حرف عطف يشرك في الحكم، ويفيد التّرتيب بمهلة)**[1]؛ أي أنَّ الثّاني يأتي بعد الأوّل بمهلة، وهو أنْ يقع المعطوف بعد المعطوف عليه مع انقضاء مدّة بينهما، وهو إلى ذلك **(أداة تؤدّي إلى الكشف عن مقصديّة المتلفظ بالخطاب، وتوضيح نواياه من خلال سياق المقام، كما يساهم في اتّساق النّص، وإبراز دلالته الحجاجيّة، وقد عدّه منظّرو الحجاج رابطًا مهمًّا لأنَّه ذو بعد حجاجيّ تداوليّ)**[2]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ (النّبأ/4،5).

(وثمّ) من حروف العطف الّتي تربط حجاجيًّا بين وحدتين دلاليّتين؛ من خلال إقامة الحجّة وتأييدها.

3- الرّابط أو:

يدلّ الرّابط **(أو)** على التّخيير، ويكون **(عندما ينوي المتكلّم أنْ يقوم إمّا بالفعل الأوّل أو الثّاني في حال أو وقت محدّد من المستقبل)**[3]، نحو قوله تعالى: ﴿ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (المائدة/89).

---

[1]- الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1922، ص426.

[2]- مثنّى كاظم صادق، أسلوبيّة الحجاج التّداوليّ والبلاغيّ: تنظير وتطبيق على السّور المكيّة، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015، ص91.

[3]- فان دايك، النّص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني إفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان، دط، 2000م، ص98.

ولها معانٍ ثمانية: الشّرك، والإبهام، والتّخيير، والإباحة، والتقسيم، والإضراب، وقد تكون بمعنى الواو، كما توافق **(ولا)** بعد النّهي[1].

وهي من أدوات الفصل؛ والفصل **<< Disjonction >> (علاقة منطقيّة يتمُّ الرّبط فيها بين قضيّتين بسيطتين بواسطة الرّابط (أو) مثلاً)**[2]، وأمّا روابط الفصل فهي **(الّتي تكون غايتها توزيع العناصر الّتي تعدّ كلاًّ واحدًا، أو على الأقل مجموعة متّحدة ضمن الأنظمة الفكريّة أو فصلها أو تفكّيكها)**[3].

على أنَّ حجاجيّة هذا الرّابط تكمن في الدّور الّذي يؤدّيه؛ وهو الفصل بين قضيّتين من خلال تعدّد معانيها الّذي يجعل المتلقّي يَذْعَن لقول المتكلّم.

4- الرّابط لكنَّ:

أعطى " **ديكرو**" و " **أنسكومبر**" أهميّة كبيرة للرّابط **(لكنّ)** ودوره الحجاجيّ؛ لما له من علاقة استدراكيّة لما قبله بتقوية لما بعده، **(فهو حرف استدراك، ومعنى الاستدراك أنْ تنسب حكمًا لاسمها، يُخالف المحكوم عليه قبلها، كأنَّك لمّا أخبرت عن الأوّل بخبر، فخفت أنْ يُتوهم من الثّاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إنْ سلبًا وإنْ إيجابًا، لذلك لا يكون إلاَّ بعد كلام ملّفوظ به، أو مقدّر[...] ولا تقع لكنّ بين متنافرين بوجه ما[...].**

قال الزّمخشريّ: (لكنّ للاستدراك، توسّطها بين كلامين متغايرين، نفيًا وإيجابًا فتستدرك بها النّفي بالإيجاب والإيجاب بالنّفي[...] والتّغاير في المعنى بمنزلته في اللّفظ)[4]، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ

---

[1]- ينظر: الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص228-230.

[2]- آن ريبول وجاك موشلار، التّداولية اليوم، ص268.

[3]- ابن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب، ص477.

[4]- الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص615، 616.

ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ (الأنفال/43)، فتدرك أنَّه متى توسّطت **(لكنّ)** – دليلين باعتبارهما رابطًا حجاجيًّا– جعلت الدّليل الوارد بعدها أقوى من الدّليل الّذي سبقها[1]؛ أي أنَّ الغلبة تكون للدّليل الوارد بعد الرّابط.

5- الرّابط بل:

يعدّ الرّابط **(بل)** على المستوى النّحوي حرف عطف نسقي، يأتي للإضراب عمّا تقدمه والاهتمام بما بعده، **(وله حالان: الأوّل: أنْ يقع بعده جملة، والثّانية: أنْ يقع بعده مفرد فإنْ وقع بعد جملة كان إضرابًا عمّا قبلها، [...] وإذا وقع بعد (بل) مفرد فهي حرف عطف ومعناها الإضراب[...] فإنْ كانت بعد نفي[...] فهي لتقرير حكم الأوّل وجعل ضدّه لما بعدها)**[2]. ومن أمثلة ذلك ما يَحتجُّ به شخص مُتّهم بالكسل والتّقصير في عمله: لم أتقاعس عن العمل، بل اجتهدت فيه. كما يعّد أيضًا حرف انتقال إبطالي؛ لأنَّه **(يُقيم علاقةً حجاجيّةً مركبةً من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: علاقة بين الحُجّة والنّتيجة، وعلاقة حجاجيّة ثانية تَسير في اتجّاه النّتيجة المضادّة للنّتيجة السابقة، فالرّابط الحجاجي (بل) يربط بين الحجج والنّتائج، والنّتيجة المضادة تصبح نتيجة القول برُمتّه؛ لأنَّ الحجّة (بل) أقوى من الحجّة الّتي ترد قبلها)**[3]؛ بمعنى الانتقال من غرض إلى غرض موالٍ من غير إبطال الغرض الأوّل، فالحجّة الواقعة بعد هذا الّرابط هي الأقوى حجاجيّا.

---

[1]– سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربيّ: بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2 2011م، ص347.

[2]– الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص235، 236.

[3]– أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص62، 63.

6- الرّابط حتّى:

تستخدم **(حتّى)** في المستوى النّحوي بوظائف متعدّدة منها: العطف، وانتهاء الغاية والاستثناء، والتّعليل، وقد تكون حرف جر؛ دال على انتهاء الغاية، على أنْ يراعي المرسل تحقيق شروط مجرورها في التّركيب: فـ **(الأوّل: أنْ يكون ظاهرًا في الغالب فلا تَجرُّ الضّمير[...]، والثّاني أنْ يكون آخر جزء، أو ملاق آخر جزء، وأنْ يكون المجرور بها داخلاً فيما قبلها على الغالب، وأنْ يكون الانتهاء به أو عنده)**[1]، ومثال آخره جزء: أكلت السّمكة حتّى رأسها، وأمّا ملاق آخر جزء مثل: سرت النّهار حتّى اللّيل، ومثال الانتهاء به قصصت الرواية حتّى نهايتها.

وثاني استعمالاتها ما يعرف بـ **(حتّى العاطفة)**، ويراعي المرسل هنا شرطي المعطوف: **(الأوّل: أن يكون بعض ما قبلها، أو كبعضه [...]، الثّاني أن يكون غاية لما قبلها في زيادة، والزيادة تشمل القوّة والتّعظيم، والنّقص يشمل الضّعف والتّحقير)**[2]، ومثال ذلك قولنا:

- جاء زيد.
- حتّى زيد جاء.

نجد أنَّ القولين يخدمان نتيجة واحدة، ولكن في المثال **(حتّى زيد جاء)** يقدّم معلومة جديدة **(مجيء زيد غير متوقّع)**، فدور الرّبط يتمثّل في إدراج حجّة جديدة أقوى من الحجّة المذكورة قبله، والحجّتان تخدمان نتيجة واحدة، ولكن بدرجات متفاوتة من حيث القوّة الحجاجيّة.

---

[1]- الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص543-545.

[2]- مر ن، ص547.

وفي المستوى الحجاجي تتعدّد أنماط هذا الرّابط الحجاجيّ من تدرّج الحجج أو عرض للحجج الأقوى، وتأسيسًا على قول النّحاة بأنَّ ما بعدها غاية لما قبلها فإنَّ **(الحجج المربوطة بواسطة هذا الرّابط ينبغي أنْ تنتمي إلى فئة حجاجيّة واحدة، ثمَّ إنَّ الحُجّة الّتي ترد بعد (حتّى) هي الأقوى، ولذلك فإنَّ القول المشتمل على الأداة (حتّى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجيّ)**[1]، فهذا الرّابط مثقَّل بحمولة حجاجيّة واضحة[2]، ويتمثّل دوره الحجاجي في الرّبط بين الحجج الّتي تسبقه وإعطاء قوة للحجّة الّتي تليه.

7- الرّابط إنّ:

وهي من أدوات تأكيد القول ودفع الإنكار، حيث تنهض بوظيفةحجاجيّة تتمثّل في تقديم المسائل للمتلقّي وفرضها عليه، ويكون أسلوب التّوكيد بقصد ردّ إنكار المخاطَب ودفع الشّك، وأغراض هذا الأسلوب ثلاثة: **(أحدهما: أنْ يَدفع المتكلّم ضرر غفلة السّامع عنده وثانيهما: أنْ يَدفع ظنّه بالمتكلّم الغلط، فإذا قصد المتكلّم أحد هذين الأمرين فلا بدّ أن يكرّر اللّفظ الّذي ظنّه غفلة السّامع عنه...والغرض الثالث: أنْ يَدفع المتكلّم عن نفسه ظن السّامع به تجوّزًا)**[3]، فإنَّ من الأدوات الخالصة لمعنى التّوكيد في نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (هود/111)، فقد وردت إثباتًا للشّيء وتحقيقًا له ومعناها عند الزجّاج (ت337ه) التّوكيد، وعند الجرجاني (ت471ه) تستعمل لتثبيت ما يتردّد المخاطب في إثباته ونفيه[4].

---

[1]- أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص73.

[2]- جواد ختام، التّداوليّة أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط1، 2016م، ص156.

[3]- ينظر: مهدي المخزومي، في النّحو العربي نقد وتوجيه، دار الرّائد العربيّ، بيروت، لبنان، ط2 1986م، ص235، 236.

[4]- دلائل الإعجاز، ص231.

جاء في التّنزيل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ (الكهف/83-84)، فإنَّ هنا أداة توكيد، توظّف **(لتنهض بوظيفة حجاجيّة تتمثّل في تقديم هذه المسائل، وفرض حقيقتها عليه باعتبارها مسلّمات ومقتضيات لا تقبل مبدئيًّا النّقاش، فكلّ من أنَّ وإنَّ يفيدان التّوكيد)**[1]، ومثال أنَّ قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الحِجر/49).

8- الرّابط لأنَّ:

يعدّ هذا الرّابط من ألفاظ التّعليل؛ بل من أهمّها، فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجيّ بها أثناء تركيبه، وتستعمل لتبرير الفعل، كما تستعمل لتبرير عدمه.

وهو رابط نسبي يمكن أنْ يستعمل في الحجاج بغضّ النّظر عن فعل الكلام المُنجز فقد يكون في الإثبات كما قد يكون في النّفي، ومثال ذلك تبرير ابن المبارك لعدم اغتيابه النّاس، فقد قيل له: " **إنَّك لتحفظ نفسك من الغيبة، قال: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والديّ لأنَّهما أحقّ بحسناتي**"[2].

ب- العوامل الحجاجيّة:

تكمن غاية كل خطاب في السّعي إلى تحقيق الإقناع من خلال العوامل الحجاجيّة الّتي هي **(العماد في عمليّة التّواصل؛ لأنَّها محرك رئيس من ضمن المحرّكات** الّتي تقوم عليها عمليّة التّخاطب)[3]، ويمكن أنْ نعرّف العامل الحجاجي بأنَّه **(تضييق وتقييد الإمكانات**

---

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص299.

[2]- ينظر: ابن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب، ص478.

[3]- عزّ الدّين النّاجح، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، مكتبة علاء الدّين للنّشر والتّوزيع، تونس ط1، 2011، ص17.

الحجاجيّة الّتي نجدها في قول ما، وتُوجّهه نحو نتيجة واحدة، فضلاً عن كونه يرتقي بالملفوظ من الوظيفة الإبلاغيّة إلى الحجاجيّة)[1].

وتختلف العوامل عن الرّوابط؛ لأنَّها **(لا تربط بين متغيرات حجاجيّة؛ " أي بين حجّة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج "، لكنَّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة الَّتي تكون لقول ما)**[2].

فالعوامل الحجاجيّة – كما نعلم – **(تُدعّم قضيّة مطروحة، تتمتّع هذه القضيّة عند المتلقّي بكونها حدثًا، ويسمح هذا الحدث للمرسل باستعمال العامل الحجاجيّ ببناء حجّة تستند إلى علاقة ترتكز إلى مشتركات بين المرسل والمتلقّي؛ ممّا يُعطي للقول قيمة حجاجيّة بسبب دعم العامل له فيكون منشّطًا للقضيّة المُراد الاحتجاج بها)**[3].

فهي إذن **(عناصر لغويّة إسناديّة نحويّة أو معجميّة، تربطبين مكونات القول الواحد، كالحصر والنّفي، والشّرط، ووظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجيّة لمحتوى الملفوظات وتحويلها)**[4].

وسنقتصر في هذا الفصل على دراسة بعض العوامل الحجاجيّة لا كلّها وهي هذه الأدوات: الشّرط بإذا، ولو، والاستفهام بالهمزة وهل، والنّفي بلا، ولم، والقصر بإنّما وبالنّفي والاستثناء(لا... إلاّ، وما... إلاّ)، والنّداء بالياء وأيّها.

وقد وقع اختيارنا على هذه الرّوابط لعمق دلالتها في المدوّنة موضوع الدّراسة.

---

[1]– عزّ الدّين النّاجح، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، ص35.

[2]– أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص27.

[3]– مثنّى كاظم صادق، أسلوبيّة الحجاج التّداوليّ والبلاغيّ، ص103.

[4]– عادل عبد اللّطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرّباط، منشورات ضفاف، بيروت، ط1 دت، ص100.

1- أسلوب الشّرط:

الشّرط عند النّحاة يعني وقوع الشّيء لوقوع غيره، ويعرف بأنّه: **(أسلوب لغويّ يُبنى - بالتّحليل - على جزءين: الأوّل مُنزّل منزلة السّبب، ويتحقّق الثّاني إذا تحقّق الأوّل وينعدم إذا انعدم الأوّل، فوجود الشّيء معلّق على وجود الأوّل)**[1].

ويُبيّن النّحاة القدامى أنَّ جملة الشّرط سبب في جملة الجواب، لذا لا يستغني المُسبّب عن سببه، قال ابن جنّي (ت392هـ): **(وذلك أنَّ حقيقة الشّرط وجوابه أنْ يكون الثّاني مسبّبًا عن الأوّل نحو قوله: إنْ زرتني أكرمك، فالكرامة مسببّة عن الزيارة)**[2]، فالوظيفة الحجاجيّة للجملة الشّرطية عمومًا هي القدرة على **(توفير علاقة اقتضاء شكلي بين السّبب والنّتيجة سبب يمثّله الشّرط ونتيجة يمثّلها الجواب في مستوى أوّل، وعلى توفير علاقة اقتضاء أيضًا بين حجّة يمثّلها الشّرط والجواب معًا ونتيجة يُصرّح بها المتكلّم تارة ويخفيها طورًا في مستوى ثان)**[3]، فالشّرط وجوابه إذن يمثّلان من النّاحية الحجاجيّة حدّين للقضيّة وحجّتها؛ حيث إنَّ جملة الشّرط تَعرضُ القضيّة وجملة جواب الشّرط تَعرضُ نتيجتها.

ويعتمد أسلوب الشّرط في دلالته على طائفة من الأدوات، وسنعرض لأهمّها، وهي أدوات دلّت على الشّرط أصالةً، وهي: إذا، ولو.

---

[1]- مهدي المخزومي، في النّحو العربيّ نقد وتوجيه، ص284.

[2]- أبو الفتح عثمان ابن جنّي، الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنّشر، بيروت لبنان، دت، ج3، ص175.

[3]- سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربيّ، ص336.

1-1- إذا:

أداة شرط غير جازمة، وهي ظرف لما يستقبل من الزّمان متضمّنة معنى الشّرط، تفيد الرّبط بين الجملتين: الشّرط وجوابه. والأصل فيها القطع بوقوع الشّرط؛ لأنَّها تدلّ على وقت معلوم[1].

ويرى أهل المعاني أنَّها **(تستعمل مع المتوقّع وقوعه، فالأصل في (إذا) أنْ يكون الشّرط مقطوعًا بوقوعه كما تقول: إذا زالت الشّمس آتيك)**[2]، إذ تَثبُت حجاجيّة هذه الأداة لكونها أداةً تربط بين الوحدات الدّلاليّة الّتي تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجيّة، فما هو واقع بعدها ينتمي إلى السّياق الّذي تشغله الوحدات الّتي قبلها كما أنَّها تدلّ على إنشاء الارتباط بالشّرط، بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها[3].

فالرّابط **(إذا) (لا قيمة له في حدّ ذاته إلاّ ضمن السّيرورة الحجاجيّة المُصاحبة لإنتاج الملفوظ)**[4].

1-2- لو:

حرف متضمّن معنى الشّرط نحو قوله تعالى: ﴿...وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ...﴾ (الأنفال/43)، ويُعرّفه الرّماني (ت384ه) بقوله: **(من الحروف الهوامل وفيه معنى الشّرط ومعناها امتناع الشّيء لامتناع غيره، ولا يليها إلاَّ**

---

[1]- هادي نهر، كتاب النّحو التّطبيقيّ، جامعة جدار للدّراسات العليا، عمّان، الأردن، ط1، 2008م، ج2 ص1401.

[2]- مهدي المخزومي، في النّحو العربيّ نقد وتوجيه، ص291.

[3]- مكناسي صفيّة، مقوّمات الحجاج في الخطاب الاصلاحي الجزائريّ، الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي مقارنة توضيحيّة لأساليب الإقناع، دار غيداء للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2016م، ص59.

[4]- جواد ختام، التّداوليّة أصولها واتّجاهاتها، ص168.

الفعل مظهرًا أو مضمرًا وذلك نحو قولك: لو جاء زيد لأكرمته، ولو خرج عمرو لأدركه زيد)[1]، وتدخل **(لو)** على الجملتين فتجعل الأولى شرطًا والثّانية جزاءً، كقوله تعالى ﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ (الحجرات/07).

و**(لو)** حسب الرّماني لا تكون إلاَّ مع الفعل الماضي، ولا تُحوّل دلالة الماضي إلى المستقبل كباقي حروف الشّرط يقول: **(ألا ترى أنَّك تقول: إنْ قمت غدا قمت معك، في معنى إنْ تقم غدًا أقم معك، ولا تقول: لو قمت غدًا قمت معك وإنَّما تقول: لو قمت أمس لقمت معك)**[2]. كما تستعمل **(فيما لا يتوقّع حدوثه، وفيما يُمتنع تحقّيقه أو فيما هو محال أو من قبيل المحال)**[3]، فوظيفة **(لو)** في الجملة الشّرطيّة إنَّما هو تعليق الجواب في الماضي وهو ما يعطي الخطاب شحنة حجاجيّة بيّنة.

2- أسلوب الاستفهام:

وهو أسلوب لغويّ، أساسه طلب الفهم؛ **(الاستفهام هو طلب المتكلّم من مخاطبه أنْ يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلاً عنده مماسأله عنه)**[4]، ويصنّف الاستفهام ضمن التّوجهات الّتي يكون غرضها الإنجازي؛ محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معيّن، إذ **(يسعى المرسل إلى إنجاز فعل إقناعي، يتوسّله أسلوب الاستفهام، فالجمهور يعتقد شيئاً، والمرسل يصوغ ما يريد إقناعهم به عن طريق الاستفهام، الّذي يحقّق النّتيجة**

---

[1]- أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، تح: عبد الفتّاح اسماعيلي شلبي، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع والطباعة، جدّة، المملكة العربيّة السعوديّة، ط2، 1981م، ص101.

[2]- مص ن، ص102.

[3]- مهدي المخزومي، في النّحو العربيّ نقد وتوجيه، ص291.

[4]- جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، الأشباه والنّظائر في النّحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دط، 1985م، ج7، ص43.

المرتجاة)[1]، من ذلك أنَّ الاستفهام الحجاجيّ **(نمط يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقًا من قيمته الحجاجيّة)**[2].

ويعدّ الاستفهام من أنجع الأفعال اللّغويّة حجاجًا، وهو ما يَتوسل به الكثير من فعلهم إذ **(إنّ طرح السّؤال يمكن أنْ يُضخّم الاختلاف حول موضوع ما؛ إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلّم الإقرار بجواب ما. كما يمكن أنْ يلطّف السّؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلّم، وبإمكان المتكلّم كذلك تعميق نقاط الاتّفاق مع المخاطب إذا ما كان مقرًّا بما يطرحه عليه من أجوبة)**[3]، فمعرفة المتكلّم لجواب المتلقّي، إنَّما هو من باب التوقّع الّذي يحدّده معرفة الشّخص ومعرفة المقام وتستخدم لتأدية هذه الوظائف اللّغويّة أدوات من قبيل: الهمزة، وهل.

2-1- الهمزة:

والهمزة من حروف الاستفهام، وهي أمّ الباب، **(والأصل فيها أنْ لا يليها إلاَّالفعل، إلاَّ أنَّهم توسّعوا فيها، فأجازوا مجيء الاسم بعدها، لأصالتها في باب الاستفهام)**[4]؛ ومثال ذلك قوله تعالى﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ ﴾ (البقرة/100)، فالهمزة – إذن – **(حرف يدخل على الأسماء والأفعال لطلب التّصديق)**[5]، وقد **(تكون استفهامًا محضًا وتكون تقريرًا وتوبيخًا)**[6]، أمّا استخدامها للتّقرير كقوله تعالى: ﴿ أأنت فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾

---

[1]– ينظر: مثنّى كاظم صادق، أسلوبيّة الحجاج التّداوليّ والبلاغيّ، ص140.

[2]– أبو بكر العزّاوي، الخطاب والحجاج، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص57.

[3]– محمّد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظريّة المساءلة لميشال مايير، ص399.

[4]– عمر بن عثمان بن قنبر سبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمد هارون، عالم الكتب، ط3، 1983م ج1، 99.

[5]– الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص30.

[6]– ابن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب، ص484.

فلا شكّ أنّ الغرض من الاستفهام في الآية أن يقرّ إبراهيم بأنَّه هو الّذي فعل وليس القصد من الاستفهام على أصل ما جرى لآلهتهم.

2-2- هل:

وأمّا (هل) فهي أداة استفهام عن النّسبة، سواء أكانت في جملة فعليّة أم في جملة اسميّة، ولا يستفهم بها عن مفرد؛ ولذلك لا يقال هل زيدًا ضربت ؟؛ **(لأنَّ تقديم الاسم يشعر بحصول التّصديق بنفس النيّة)**[1]؛ أي أنَّ تقديم الاسم لا يتمُّ إلاَّ بعد تمام النيّة. وقد تفيد هل التّقرير وقد تأتي بمعنى قد؛ نحو قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ (الإنسان/01).

تكمن وظيفة الاستفهام التّقريري في الحجاج، أنَّه يستوجب من المخاطب إعمال ذهنه، حيث يعلم مسبقًا أنَّ المتكلّم لا يقدم له هذه الأسئلة بغرض الإجابة عنها فحسب بل يبحث فيما يقتضيه الالتزام الحواريّ إزاء هذه الأسئلة المطروحة أيضًا، ومن هنا تكون **(الأسئلة أشدّ إقناعًا للمرسل إليه وأقوى حجّة عليه)**[2].

3- أسلوب النّفي:

أسلوب لغويّ تحدّده مناسبات القول، ويعرّفه المخزومي بقوله: **(أسلوب نقض وإنكار؛ يستخدم لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب، فينبغي ارسال النّفي مطابقًا لما يلاحظه المتكلّم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ؛ ممّا اقتضاه أنْ سعى لإزالة ذلك بأسلوب النّفي)**[3].

---

[1]- ابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمّد الخطيب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1 1998م، ص349.

[2]- ابن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب، ص484.

[3]- في النّحو العربيّ نقد وتوجيه، ص246.

والنّفي عامل حجاجيّ يُحقّق به الباث وظيفة اللّغة الحجاجيّة؛ المتمثّلة في إذعان المتقبّل وتسليمه، عبر توجيهه الملفوظ إلى النّتيجة[1]، ويصدق عليه قول أنسكومبر: **(يوجد في اللّغة عوامل حجاجيّة تشدّ الملفوظ وتبدّله، وتقوم بتوجيه أقسام النّتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ بنفي بدايته)**[2].

وقد حصرته اللّغة العربيّة في حروف من قبيل: **(لا، ولن، ولم، وما)**، ومن الوظائف الّتي يقوم بها النّفي وظيفة " **الجحد** "؛ ونقصد به **(الإنكار والإبطال والاعتراض، وهو وظيفة أصليّة في النّفي، تتجلّى نجاعتها الحجاجيّة في محاصرة الخصم؛ لأنَّ إنكار دعواه يعيده إلى نقطة البداية بعبء التّدليل والإثبات)**[3].

3-1- لا:

وهي حرف نفي نحو قوله تعالى: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة/02)، وتكون لـ **(نفي المستقبل والحال، وقبيح دخولها على الماضي لئلاَّ تشبه الدعاء، وقد تدخل على الماضي بمعنى لم)**[4]. ومن معانيها أنَّها **(عاملة عمل** " **إنَّ** "، **وهي لا النّافية للجنس... العاملة عمل ليس، النافية غير العاملة ولها ثلاثة أنواع عاطفة، وجوابيه وغيرها)**[5].

ويعدّ النّفي بـ **(لا)** من صيغ التّعبير الّتي لها دور حجاجيّ أثناء طرح القضايا، وفي هذا يقول عبد الله صولة: **(فالنّفي إنَّما هو ردّ إثبات فعلي محتمل حصوله من قبل الغير**

---

[1]- عز الدّين النّاجح، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، ص47.

[2]- مر ن، ص ن.

[3]- قادا عبد العالي، الحجاج في الخطاب السّياسي، كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2015م ص279.

[4]- أبو القاسم عبد الرحمان، بن اسحاق الزجّاجي، حروف المعاني، تح: علي توفيق الحَمَد، دار الأمل إربد، الأردن، ط2، 1406هـ، 1986م، ص4.

[5]- ينظر: الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص290-294.

فقد كان " بوغسون " يرى أنَّ الفكر السّالب لا يكون في الكلام إلاّ إذا كان الأمر متعلّقًا بمواجهة الغير، أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج)[1]، ومن ذلك قوله – صلّى الله عليه وسلّم – : **(لا صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَاب)**؛ إذ نفى جنس الصّلاة مالم تقترن بسورة الفاتحة، موجبا ذلك إياها في معنى الصّلاة.

3-2- لم:

حرف نفي وجزم وقلب، يدخل على الفعل المضارع فيجزمه، ويَقلب زمنه إلى الماضي وحينها لا حاجة إلى إدخال قرائن لفظيّة تدلّ على الماضي[2]، وهي حرف نفي قد يكون جازمًا نحو قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ (الإخلاص/3)، وسبب الجزم بـ **(لم)** دون سائر حروف النّفي يعود إلى قلب زمن الفعل من المضارع إلى الماضي؛ والماضي يصح فيه القطع والجزم[3]، قال الرّازي: **(فإذا كان لَمْ ولمّا يقلبان اللّفظ من الاستقبال إلى الماضي كانا يفيدان الجزم والقطع في المعنى، فجعل لهما تناسبًا بالمعنى، وهو الجزم لفظًا، وبيّن البيضاوي أنَّه إذا تنازعت (لمْ) و(إنْ) الشّرطية على جزم المضارع في نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾...(لبقرة/24) كان الجزم بـ (لم) واجبًا؛ لأنَّها**

---

[1]– الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج والخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكاه ص320، 321 .

[2]– ينظر: أسماء عبد الباقي محمّد، أسلوب النّفي في بعض الأحاديث النّبوية الشّريفة، صحيح مسلم أنموذجًا، مجلّة كليّة الآداب، الجامعة المستنصرية، ع102، ص190.

[3]– ينظر: محمود أحمد الصّغير، الأدوات النّحويّة في كتب التّفسير، دار الفكر، دمشق، سوريّة، ط1 2001م، ص586.

مختصّة بالدّخول على المضارع ومتّصلة به غير منفصلة عنه، وكالجزء منه؛ ولأنَّها تقلب زمانه)[1].

4- أسلوب القصر:

اصطلح النّحاة والبلاغيون على تسمية الجمع بين النّفي والإثبات في آن معا في تراكيب جملة واحدة اسميّة كانت أم فعليّة " **قصر** "؛ والقصر عندهم هو تخصّيص شيء بشيء، وهو من العوامل الحجاجيّة الّتي يستند إليها المحاجِج لتوجيه خطابه نحو الوجهة الصحيحة، الّتي يريد إقناع مخاطبه بها، وسنقتصر في بحثنا هذا على: أسلوب القصر بـ **(إنَّما)**، والقصر بـ **(ما، وإلا)**، والقصر بـ **(لا، وإلاّ)**،

4-1- إنَّما:

إنَّما أداة استثناء، وهي مركبة من إنَّ وما، وبعد دخول ما على إنَّ التّوكيديّة تغيّرت وظيفتها، وأصبح لها معنى جديد، **(وقد تغيّرت دلالتها على التّوكيد من كونه توكيدًا عاديًا إلى كونه توكيدًا قاصرًا أو حاصرًا)**[2]؛ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ﴾(البقرة/173)

وتعدّ إنَّما أمّ طرق القصر، فقد خصّها الجرجاني بالذّكر في الدّلائل؛ إذ يقـول:**(واعلم أنَّها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت إنَّما جاءني زيد عُقل منه أنَّك أردت أنْ تنفي أنْ يكون الجائي غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمر)**[3].

---

[1]- ينظر: محمود أحمد الصّغير، الأدوات النّحويّة في كتب التّفسير، ص586.

[2]- مهدي المخزومي، في النّحو العربيّ نقد وتوجيه، ص238.

[3]- دلائل الإعجاز، تعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004، ص335.

ويقول السكّاكي (ت226هـ): **(والسّبب في إفادة إنَّما معنى القصر، هو تضمينه معنى ما وإلاّ[...]، وترى أئمّة النّحو يقولون: (إنَّما تأتي إثباتًا لمّا يذكر بعدها ونفيًا لما سواه)**[1]؛ وكذلك تأتي للقدر كقولك: (" **إنَّما هذا لك تقدير** " **ما هذا إلاّلك** " و" **إنَّما لك هذا** "**تقدير** " **ما لك إلاّ هذا** ")[2]، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(البقرة/11).هذا الكلام على لسان بني إسرائيل له نتيجة واحدة وهي: إنَّنا لسنا مفسدين، فالعامل **(إنَّما)** إذا دخل على الجملة **(نحن مصلحون)** جعل الجملة جملتين هما:

- نحن مصلحون.
- لسنا مفسدين كما تدّعون.

وهو ما يجعل الكلام ذا طابع حجاجيّ واضح، في حين يجعله غياب إنَّما لمجرد الإبلاغ والإعلام، لتكتفي اللّغة بوظيفتها الإعلاميّة **(La fonction informative)**، ولا تتعدّاها إلى الوظيفة الحجاجيّة **(L'argumentativité)**[3].

وتكمن قوّتها الحجاجيّة في تركيزها على المقصور الّذي يقع بعدها دائمًا، وهي **(تفيد في الكلام بعدها إيجاب لفعل شيء، ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة)**[4]، فيكون العامل الحجاجيّ هذا **(موجبًا لإثبات ما بعده بحصره وتقديمه ونفيه الضّمني لما سواه بتحويل الخطاب بنسبة مقيّدة بالإثبات مرتبطة به، من خلال تفعيل النّص حجاجيًّا وهيمنته**

[1]- أبو يعقوب السكّاكي، مفتاح العلوم، علّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 1987م، ص291.

[2]- مص ن، ص300.

[3]- عز الدّين النّاجح، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، ص56.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص335.

على مساحة واسعة منه، إذ أنَّ ما أثبته العامل الحجاجيّ أبطل غيره بالمقابل)[1]، فقوّة العامل (إنَّما) تكمن في خاصيّة القصر كما اتضح.

4-2- النّفي والاستثناء بـ (ما... إلاّ)، وبـ (لا... إلاّ):

يعدّ عاملاً حجاجيًا مهمًّا في بنية النّص، وتكون فيه الفكرة مشتركة بين كل من المرسل والمتلقّي في المسار المؤدّي إلى نتيجة ما؛ ذلك لأنَّ هذا العامل صورة من صور تقييد الفكرة المطروحة أو الضّغط على محتواها الخبري، ولكي يجعل المتلقّي يلتفت إليها فلعلّه يذعن، فكثيرًا ما يستعمل النّفي والاستثناء في توجيه القول نحو ما يعتقد به المتحدّث[2]. فيكون توظيف هذه الصيغة **(لأمر يذكره المخاطب ويشكّ فيه... بالنّفي والإثبات)**[3].

أمّا الأقوال الّتي تتضمّن عاملاً حجاجيًّا من نمط **(ما... إلاّ) أو (لا... إلاّ)**؛ أي الّتي تندرج ضمن أدوات القصر، فإنَّها تكون مماثلة للأقوال المنفيّة من حيث السّلوك الحجاجيّ والوجهة الحجاجيّة[4].

ويستعان بعامليّة الحصر للشّد من أزر الملفوظ وتحديد النّتيجة المقصودة منه وبالتالي يكون الجمهور أمام نتيجة واحدة[5]، فالحصر من التّراكيب الّتي تترتّب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجيّة، ذلك التّركيب الّذي يتضمّن الأداتين **(ما... إلاّ)** في ترتيب الحجج في سلّم واحد؛ إذ إنَّ **(ما... إلاّ)** عامل **(يوجّه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض)**،[6] وهو ما يسمّيه " **ديكرو**" بالمواضع الّتي توجد بين الحجّة والنّتيجة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ

---

[1]- مثنّى كاظم صادق، أسلوبيّة الحجاج التّداوليّ والبلاغيّ، ص114.

[2]- مر ن، ص 108، 109.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص332.

[4]- أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص49.

[5]- عز الدّين النّاجح، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، ص64.

[6]- ابن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب، ص519، 520.

ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ (يس/15). ويرد النّفي بـ **(لا)**؛ نحو: **(لا يعلم الغيب إلاّ الله)**.

فالجملة المحصورة أو المقصورة لها إمكانات حجاجيّة كثيرة؛ لأنّها تخدم نتائج متعدّدة.

والمعلوم أنَّ القصر يُضيّق المحتوى ويكثّفه، ويؤدّي إلى الإسراع بالنّتيجة؛ لذلك يعدّ عامل الحصر نقطةً مفصليّةً في النّص جاذبة للمتلقّي[1]، وهكذا يكون عامل الحصر قد أدّى دورًا حجاجيًّا واضحًا من خلال إبرازه للفكرة من جهة، وقوّة تأثيرها في المتلقّي من جهة أخرى.

5- أسلوب النّداء:

يعدّ أسلوب النداء من الأساليب الّتي ضمّت العديد من الأحرف، فعملت على توجيه وظائفه النّحوية، ومعانيه الدّلالية ضمن التّراكيب والسّياقات المختلفة التي ورد فيها. وهو إلى ذلك **(طلب المنادى بأحرف النّداء الثمانية)**[2].وأوضح ابن يعيش **(ت643هـ)** أنّ التّنبيه هو لأجل الاقبال لقوله: **(النّداء تنبيه المدعو ليُقبل عليك)**[3]، فغاية النّداء هي الإقبال وتنبيه المدعو، فهو **(بنية تنتج لإقبال حسًا أو معنى، وله تأثير كبير على المتلقّي؛ لأنّه لا يؤتى به لمجرد الانتباه، والاصغاء فحسب، وإنّما يؤتى به لتنفيذ فعل إنجازيّ ما عن طريقه ، لذا دخل في باب الأفعال الكلاميّة)**[4]. فالمخاطب ليس مقصودا بالنّداء، وإنّما هو للفت انتباهه

---

[1]- مثنّى كاظم صادق أسلوبيّة الحجاج التّداوليّ والبلاغيّ، ص109.

[2]- عبد السّلام هارون، الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5 1421هـ، 2001م، ص135.

[3]- موفق الدّين يعيش بن علي، شرح المفصّل، إدارة الطّباعة المنيرية، مصر، دط، دت، ج8، ص120.

[4]- مثنى كاظم صادق، أسلوبيّة الحجاج التّداولي والبلاغي، ص150،151.

لما سيقال **(ومع كثرة (النّداء) في الكلام فهو ليس مقصودًا بالذّات، بل هو لتنبه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له، فأنت تلجأ إلى النّداء لتنبيه المخاطب وعطفه عليك حتّى تخصّه من بين النّاس بأمرك أو نهيك أو استفهامك أو خبرك)**[1].

يتّضح ممّا تقدّم أنّ النّداء يستعمله المنادي لتنبيه المنادى عليه إذا كان غافلاً أو ملتفتا، بغرض لفت انتباهه حتّى يصغي، فيقبل عليه.

وتجدر الإشارة أنّ المستعمل من أحرف النّداء في النّص الإبراهيمي هما: الياء وأيّها.

5-1- الياء:

تعدّ أداة النّداء **(الياء)** من أشهر الأدوات، وأكثرها استعمالاً، وإنّ هذه الكثرة في الاستعمال متأتّية من كونها تدور في جميع وجوه النّداء، وتستعمل في نداء القريب والبعيد، وماهو بحكمه[2]، قال تعالى: ﴿ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ (الأعراف/77)، وقوله: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾ (سبأ/10).

ذكر النّحاة بأنّ (الياء) أمّ الباب؛ لأنّها تدخل في النّداء الخالص، أو الاستغاثة أو التعجّب، كما تتعيّن وحدها في نداء الله تعالى[3]، وذهب المخزومي إلى القول: **(وينادى بها القريب والبعيد؛ لأنّها تنتهي بصوت مدّ يعين على مدّ الصوت وإيصاله إلى المنادى البعيد)**[4].

---

[1]- قيس اسماعيل الأوسي، أساليب الطّلب عند النّحويين والبلاغيين، وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي بيت الحكمة، جامعة بغداد، العراق، ط1، 1988م، ص218.

[2]- بدر حسين علي المحمّداوي، الأساليب الإنشائيّة في التّوقيعات المهدوية: دراسة نحوية (رسالة ماجستير)، مركز الدراسات التّخصّصية في الإمام المهدي، ط1، 1436هـ، ص137.

[3]- مر ن، ص137.

[4]- في النّحو العربي نقد وتوجيه، ص301.

فالغاية من النّداء هي تنبيه المدعو غير الملتفت والغافل سواء أكان قريبًا أم بعيدًا وبالنّتيجة يحصل التّواصل.

5-2- أيّها:

ويعدّ من أهمّ الأدوات المستعملة في البنية التّداوليّة الخطابيّة، فـ **(أيّ)** من **(حروف المعاني غير المختصّة وتأتي للنداء البعيد، وقيل للقريب)**[1]، والهاء في (أيّها) جعلت **(وأما الألف والهاء اللتان لحقتا (أي) توكيدا)**[2]، مثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ **(البقرة/21)**.

وعليه فالنّداء في لايؤتى به لمجرد لفت الانتباه والإصغاء، وإنّما يؤتى به لتنفيد فعل التّواصل والإقناع.

خلاصة:

يعدّ الحجاج استراتجيّة خطابيّة يتبناها المتكلّم لتحقيق التّواصل، من خلال الأدوات اللّغويّة المتمثلة في الرّوابط والعوامل الحجاجيّة، الّتي تعدّ من أهمّ الآليات في فهم الخطاب وتأويله.

[1]- الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص233.

[2]- سبويه، الكتاب، ج2، ص197.

الفصل التّطبيقي

الأليات اللّسانيّة الحجاجيّة في

(مقالات جمعيّة العلماء وفلسطين للبشير الإبراهيمي أنموذجًا)

- أوّلاً / الرّوابط الحجاجيّة:

ينتمي الإبراهيمي إلى مدرسة الصّنعة اللّفظيّة، الّتي تعنى بالتّأنق الأسلوبي والإتقان والجودة؛ وأهل هذه الصّنعة أقدر النّاس على استخدام أدوات الرّبط والتّفنّن فيها، طلبًا للتّأثير في المتلقّي؛ ومن هذه الرّوابط مايلي:

1- الرّابط الواو:

عمد الكاتب إلى إيراد **(الواو)** لألف وستة وتسعين **(1096)** مرّةً، ونرجع كثرة استخدامها لانفتاح دلالتها على الجمع بين المتعاطفين في الحكم الواحد، وعلى الدرجة ذاتها. فأكثر ما يعترض المتكلّم من الأحوال توافق جملة الحدود في الحكم الواحد، فيقع بذلك حصر المتعدّد، ممّا يضمن للمعنى كفايتها فقول الإبراهيمي: **(ووالله يمينًا برةً لو أنَّ هذه القوى - روحيَّها وماديَّها - انطلقت من عُقلها، تظاهرت، وتضافرت، وتوافدت على فلسطين وتوافرت، لدفنت صهيون ومطامعه وأحلامه إلى الأبد، ولأزعجت أنصاره المصوّتين إزعاجًا يُطير صوابهم، ويُحبط ثوابهم، ويُطيل صمّاتهم ويكبت أصواتهم ولأحدثت في العالم الغربي تفسيراً جديدًا لكلمة " عربي ")**[1].

فالرّابط الحجاجيّ **(الواو)** في هذا النّص جاء عاطفًا؛ **(والعطف أصل أقسامها وأكثرها والواو أمُّ حروف العطف لكثرة استعمالها فيه، وهي مشركة في الإعراب والحكم)**[2]، والقارئ المتمعّن لهذا الشّاهد من خلال تركيبه اللّغويّ الظاهر، يستدرجه توالي تكرار **(الواو)** في أكثر من موضع، وهذا الرّابط لم يأت للرّبط والعطف بقدر ما جاء ليحيل على إبراز قوة العرب إذا ما اتحدوا وكانوا عصبة تتقوى، فالكاتب يُقسم يمينًا جازمًا لو أنَّ قوّة ما بكل ما لديها من قوّة

---

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ج3، ص455.

[2]- الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص158.

الروح والمادة انطلقت منفلتة من الجبن والخذلان؛ بفك عُقالها، وتضافر جهودها في الرفض والاستنكار، وزحفت على تلك الأرض الطّيبة، لدفنت بني صهيون – بريطانيا تحديدًا – إلى الأبد، ويكون ذلك بنزع صوابهم وإبطال هؤلاء الّذين يَدعَمون إسرائيل ويلتمسون من هذا الموقف شيئًا من الثواب، ويرون في ذلك عظيم الصواب والحكمة، فما يسكت هؤلاء وما يُصمتهم وما يذهب ثوابهم، وما يؤكد بطلان صوابهم وشرود حكمتهم، إنّما هو تظافر العرب والمسلمين، إذا ما زحفوا زحفًا لتحرير فلسطين.

وفي إقامة الحجّة على أنَّ قوة العرب تكّمن في اتحادّهم، أورد البشير عبارة **(لأحدثت في العالم الغربي تفسيرًا جديدًا لكلمة عربي)**، أما كانت هذه اللّفظة تدلّ على الضّعف والهوان، والتّخاذل، والجبن، وشتات الموقف، فلو أنّ العربي نفّذ قضاء الله، وأقام فريضة الجهاد وحرر فلسطين بسلاح العزيمة، والإصرار، والاعتزاز لتغير حالهُ، ولتغير مدلول كلمة عربي لتدلّ على البطولة والشجاعة والعروبة الحقّة والنّخوة الظاهرة.

فالعطف الّذي أورده الإبراهيمي، إنَّما هو عطف الاسم على سابقه، ومن ثمَّ تتوحد كل الحدود المعطوفة في الحكم الواحد، فقد عطف الأحلام والمطامع على الصهيون **(لدفنت صهيون ومطامعه وأحلامه إلى الأبد)**، فكانا الحدّان – الأحلام والمطامع – على حكم المعطوف عليهما – الصهيون–، فلم يكن الكاتب يهدف إلى ربط الجمل وعطفها، بل إلى الإقناع؛ إنَّه يعرض الحجج ويقدّمها مستهدفًا التّأثير في السّامع؛ فالعبرة من العطف في قول البشير إنَّه حينما ندفن بني صهيون، فقد يدفن الجسد وتبقى الأحلام والمطامع تدُب على صفيح الأرض لتجد متعاطفًا معها، ولتعيد الكرّة؛ لذلك عطفهما على الصهيون حتّى تدفن معه إلى الأبد.

كما عمد إلى إيراد لفظ الصّمت لعمق دلالته وتأثيره في المتلقّي؛ لأنَّ هذه اللّفظة تعني الامتناع المطلق عن الكلام، واستخدم الفعل يكبت؛ لأنَّ فيه الكثير من القهر والجبر

وهو يقصد بذلك أمريكا وأوربا. حيث قامت الواو العاطفة بربط أجزاء النّص بعضها ببعض مشكّلة نصًا متماسكًا لغويًّا ودلاليًّا، أمّا دلالته الحجاجية فهي استنهاض الهمم وإيقاظ الشعوب المستضعفة، مقررًا في كل مناسبة أنَّ فلسطين جزء من الوطن العربي الإسلامي وهو ما شكّل بنية حجاجيّة ساعدت المحاجِج على إثبات فكرته لدى المتلّقي وترسيخها في ذهنه، وهذا بفضل التّتابع بين الجمل الّذي أحدثه رابط الواو العاطفة.

وفي نصّه الّذي يتحدّث عن تقسيم فلسطين يفسر الإبراهيمي أنَّ ما آل إليه العرب من الجفاء، والغلظة، وغفلة الضمير؛ إنَّما هو لتأثّرهم وتبنيهم للحضارة الماديّة، ممَّا أدى إلى انحراف ضميرهم وزيغه، فهذه الدُويلات لو كانت على شيء من الضّمير، لما ظلمت فلسطين، ولما غرسوا في القدس اليهود دولةً وكيانًا، فهذه الدول الّتي أسماها البشير دويلات حطّا من شأنها، كانت سببًا في تأييد قرار تقسيم فلسطين، فزرعت اليهود واليهودية، وهي دول مسيحيّة، فتحت على العرب الحرب الصليبيّة، وأجلّ دليل ذكره الكاتب على أنَّ تلك الدُّول مسيحيّة هي قوله: **(تلك الدويلات الّتي صوّت ممثلوها لتقسيم فلسطين ... فلا يلام العرب والمسلمون أنْ ظنّوا أنَّها حرب صليبيّة حدّها اليهود)**[1]، فتلك الدويلات هي الّتي آزرت الكيان الصهيونيَّ بشكل مكشوف فلم تستح، ولم تكن خائفة، ولم تتستّر على الجُرم لأنَّها على يقين بأنَّ الأمّة العربيّة لن تقوى على صدّها أو مجابهتها.

فقوله: **(ومن غريب ما صنعته الحضارة الماديّة بأهلها وما طبعت عليه نفوسهم من جفاف، وما ابتلت به ضمائرهم من زيغ وانحراف، أنَّ الدول والدويلات الّتي صوّت ممثّلوها على تقسيم فلسطين وغرس اليهوديّة في الجزء الأهمّ منها غرساً رسميّاً قانونيّاً؛ كلّها دول تدين أممها بالمسيحيّة ... فهل يلام العرب بعد هذا – والمسلمون من ورائهم – إذا**

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص445.

اعتقدوا أنَّها حرب صليبيّة، بعض أسلحتها اليهود، وأنّها ممالاة مكشوفة من الدينين الصالب والمصلوب على الإسلام)[1].

أمّا الواو في هذا الشّاهد فهي واو استئناف **(ومن غريب)**، وهي **(الواو الّتي يكون بعدها جملة غير متعلّقة بما قبلها في المعنى، ولا مشاركة لها في الإعراب، وتكون بعدها الجملتان: الاسمية والفعلية ... وإنَّما سميت واو استئناف لئلا يتوهم أنَّ ما بعدها من المفردات معطوفاً على ما قبلها)**[2]، فقد استأنف بها البشير قوله السابق؛ وهذا الاستئناف أذِنَ له بأنْ يستطرد ويتوسع في فكرته، وهو ما ساعده على استكمال الحجّة بتفاصيلها، وهذا ما يزيد من درجة إقناع المتلقّي بمجابهة ما يُعرض عليه من فكر ورأي.

2- الرّابط ثمَّ:

أشار الإبراهيمي إلى معاناة فلسطين قبل أنْ يفتحها العرب المسلمون، الّذين طهروا هذه الأرض، وحرّروا أهلها من ظلم اليهود والرومان واستفزازتهم، **(داست حماك سنابك الخيول البابليّة، وجاست خلال الدّيار، وسُبي بنوك (أسلاف الصهيونيين)، فلم ينتصر لك ولا لهم أحد، لولا أن منَّ عليهم الفاتحون المستعبدون، وإنَّ المنَّ لأنكى على الحرّ من الاسترقاق، ثمّ غزاك الرومان، وأذلّوا بنيك واشتفوا منهم اثخانًا في القتل وانتقامًا)**[3]، وقد أفاد الرّابط (ثمّ) في هذا الشّاهد الترتّيب **(قد تجيء (ثمّ) لمجرّد الترتّيب في الذِكر؛ والتدرج في مدرج الإرتقاء، وذِكر ما هو أولى ثم الأولى من دون اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج، ولا أنَّ الثّاني بعد الأول في الزمان، بل ربَّما يكون قبله)**[4].

---

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص445.

[2] - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص158.

[3] - مص س، ص ن.

[4] - رضي الدّين الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، مؤسّسة الصادق طهران، دط، 1978م، ج2، ص341.

استعان البشير بالرّابط **(ثمَّ)** ليرتّب حججه ترتيبًا زمنيًا، فركّز أساسًا على البعد الدينيّ؛ لأنَّه يرى بأنَّ حجّة الدّين أقوى من أي حجّة، فكانت حججه حسب المراحل الّتي مرّت بها فلسطين من غزو اليهود والرومان، ليلتفت المتلقّي إلى المعطيات المطروحة في السّياق في صورة تصاعديّة أساسها الترتّيب الزّمنيّ. كما ساعد هذا الرّابط على إقامة حجّة قويّة وذلك بتأييد ما قبلها: **(إنَّ المنَّ لأنكى على الحر من الاسترقاق ثمّ غزاك اليهود)** فالحجّة الواردة قبل الرّابط هي إقرار بالظلم والحال الّذي آل إليه عرب فلسطين، فأيدها الرابط **(ثمّ)** بتأكيد استمرارية الظلم والاستبداد والجبر، ووصلاً بما سبق أفاد الرّابط ثمّ الترتّيب الزمني؛ كقوله في شاهد آخر: **(... هذه المظاهر الثلاثة مجتمعة تمحو قرار التّقسيم...ثمّ كان المظهر الرّابع اجتماعات وزراء الدول العربية باسم جامعتها وزعماء العرب السياسيين... لتنسيق الآراء وترتّيب الخطط وتدبير المقاومة المشتركة... وإن قال قائلون إنَّهم تباطأوا في أمر يجب فيه الاستعجال، وأطالوا الروية فيما يلزم فيه الارتجال... ويُخشى أن يكون من آثار ذلك فت في الأعضاء وتوهين للعزائم وتنفيس على العدوّ في الوقت)**[1].

ويقصد باسم الدول العربيّة، تلك الهيئة المفرغة من محتواها، الّتي ما قدمت شيئًا للقضيّة الفلسطينيّة ولا للأمّة العربيّة، غير أنَّها عطّلت معالجة القضيّة، وأمهلت اليهود، بل وكان نشاطها في صالح اليهود تمامًا، وقد أفاد الرّابط **(ثمّ)** في هذا النّص التّرتيب؛ لأنّ الكاتب رتّب المظاهر؛ من المظهر الأوّل إلى المظهر الرّابع، وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا الرّابط لا تقتصر وظيفته على النّاحية النّحويّة، بل يتعدّاها إلى المستوى الحجاجيّ بعدّه أداة إجرائيّة أسهمت في اتساق الخطاب، وإبراز دلالته الحجاجيّة.

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص454.

فتوظيف هذا الرّابط أعطى الخطاب الإبراهيمي قوّة وفاعلية، من خلال تكراره تسعة عشر (19) مرّة ، وذلك من أجل تحقيق الإقناع، والتّأثير في المتلقّي.

3- الرّابط أو:

تكرّر الرّابط (**أو**) في النّص الإبراهيمي ثمانية عشر (18) مرة ، وقد جاء بمعانٍ عديدة، ففي قوله: (**ويسافر اليهود إلى فلسطين أو إلى حيث يشاؤون لأنّهم فرنسيون بالاستلحاق على مذهب الأستاذ << كريمو >>، ولا يستطيع العرب أن يجاوزوا الحدود لأنّهم << مدجّنون >> والتّدجين من لوازمه تشديد المراقبة وتغليظ المعاقبة**)[1]، أفادت (**أو**) معنى التّفصيل؛ فالبشير يفصل في الأمر قائلاً: سواء ذهب اليهود الصهاينة إلى فلسطين أو ذهبوا إلى بلاد أخرى فهم الفرنسيون في جميع البلدان والأحوال، عكس العرب الّذين شأنهم شأن المدجّن، فحالهم حال العبيد المملوك المستخدم، فهم في خدمة المستعمر والصهاينة قصرًا وغصبًا، عليهم رقابة الأسياد، وفيهم يجري قضاء العقوبة، إنْ خالفوا أمر أو غادروا أرضًا، وقد استخدمها الكاتب بغرض التّفصيل؛ أي التّفصيل في الحجّة المعروضة ليبيّن للمتلقّي الفرق بين الفرنسيّ والعربيّ، وحجّته هي أنَّ اليهود لهم حق السّفر أمّا العرب فلا.

وذكر في شاهد آخر: (**أمّا أنا، كاتب هذه السطور، فوالّذي روحي بيده لو كنت أملك ما يملكه العموريّ من سَخْل، أو ما يملكه البسكريّ من نخل، أو ما يملكه الفلاّح من أرض أو ما يملكه الحضريّ من دور ورباع، أو ما يملكه الكانز من ورِق وورَق، لخرجت من ذلك كلّه في سبيل عروبة فلسطين... ولكنّني أملك من هذه الدنيا مكتبة متواضعة هي كلّ ما يرثه الوارث عنّي، وإنّني أضعها خالصًا مخلصًا، بكتبها وخزائنها تحت تصرّف اللّجنة الّتي تشكّل لإمداد فلسطين**)[2]، يُقسم الكاتب بأنّه مستعد لترك كل هذا الترف من دور

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص456.

[2] – مص ن، ص459.

وقصور، بل وكل ما يملك تضحية لأجل فلسطين، فهو يسعى – إذن– لأن يضحي من أجلها بالنّفس والنّفيس حتّى بكتبه، وهو موقف شهم، معبر عن تضحية جسيمة، حين يضحي العالم بكتبه. أفاد الرّابط **(أو)** في هذا الشّاهد دلالة واو العطف، إذ عطف الأملاك على فلسطين وهو عطف السّابق على اللّاحق، فالبشير لم يكتف بالقول، بل سارع إلى الفعل، فشكّل هيئة عليا لإعانة فلسطين، وتبرّع لها بأنفس ما يملك العالم، وهي مكتبته فالرجل مستعد للتضحيّة دون مقابل، ولا منَّ ولا كلل، وهو ما دلّ عليه الرّابط **(أو)** الذي جاء بمعنى الواو.

4- الرابط لكنَّ:

أكّد ديكرو أنّ **(لكنّ)** لا يمكن الوقوف على نجاعتها الحجاجيّة إلاَّ عند إدماجها في التّخاطب، وتحديدًا في أي خانة من خانات استعمال اللّغة **(وصف الواقع، والتّعبير عن منطق فكرنا وترابطه، التّحكم في آليات التّخاطب)**[1]، فاستعمال الرّابط **(لكنّ)** حجاجيًّا مفاده الاستدراك، فتكون الحجّة الثّانية أقوى من الحجّة الأولى **(فإذا كانت الحجّة الأولى تستدعي نتيجة معيّنة، فإنّ الحجّة الثّانية تستدعي النّتيجة المضادّة)**[2]، وقد وظفها الإبراهيمي خمسة وعشرين (25) مرّة ، كما في قوله: **(كنعان... إنَّما هي كتابة الله بشرطها ومعجزة موسى في حدودها، ولكنَّها في هذا العصر، عصر الحضارة، حضارة القرن العشرين؛ وعصر الديمقراطيّة... وعصر الشيوعيّة، شيوعية ماركس ولينين، تؤخذ في سوق الأغراض والمنافع الخسيسة بيعاً ومساومة...)**[3].

أشار الكاتب إلى أنَّ كنعان أرض مباركة، باركها الله عزّ وجلّ بأنْ جعلها مأوى الأنبياء ومنبتهم، فقد قدّر الله لهذه الأرض أن تكون مُشرَّفَة؛ ذلك أنّ شرفها مشروط بما فيها

[1] – عز الدّين النّاجح، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربية، ص19.

[2] – مكناسي صفية، مقومات الحجاج في الخطاب الاصلاحي الجزائري، 60.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص445.

من حضور النّبوة من إبراهيم ويعقوب وصولاً إلى موسى عليهم السلام، ولكنّ هذه الأرض المباركة الّتي قدّر الله لها كل ذلك الشرف، وكل تلك العفّة، والتّي أنارها الله بنور النّبوة صارت في هذا العصر الّذي يدّعي الديمقراطيّة والحريّة، ويدّعي النضال بحكم شيوعيّته ونزاهة ما يجأ إليه من النضالات، تباع بأبخس الأثمان، بل وصرنا نساوم عليها الأعداء فالحجّة الثانية: **(أصبحنا نساوم الأعداء على بيع فلسطين بأبخس الأسوام)** جاءت أكثر دلالة من الحجّة الأولى: **(إنَّما هي كتابة الله بشرطها ومعجزة موسى في حدودها)**، يقول الرمّاني: **(لكنّ تكون مخفّفة ومثقّلة، فالمخفّفة غير عاملة والمثقّلة عاملة، ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتّوكيد)**[1]، فالنّتيجة المتوقّعة لفلسطين بما أنَّها أرض مباركة من الله أن تكون حرّة مستقلّة، وبعد دخول الرابط **(لكنّ)**، اتّجه تفكير القارئ إلى الحجّة الثّانية؛ وهي أن تباع في سوق الأغراض بأبخس الأثمان. فقوّة هذا الرّابط – إذن – تكمن في جعل الملفوظ ذا طاقة حجاجيّة إضافيّة، على غير ما كان يألفه المتلقّي، وتبرز أهميّته الحجاجيّة في قلب موازين التّأويل، حيث ذكر البشير أنَّ كنعان أرض مباركة ثمّ استدرك الحال الّذي آلت إليه في هذا العصر، عصر ديمقراطية أمريكا وحرية فرنسا ...!!

فالحرف **(لكنّ)** من الرّوابط الحجاجيّة الّتي من مهامها سوق الحجج، والرّبط بين الحجج المتعارضة، وكذا هي من الرّوابط المدرجة للحجج القويّة.

5- الرّابط بل:

أشار الإبراهيمي إلى علاقة الصهيونية بالقطر الفرنسيّ؛ بمعنى أنَّ الحركة الصهيونيّة لم تكتف بالتّغلغل في أجهزة الدولة الفرنسيّة ومؤسّساتها؛ وإنَّما تغلغلت حتّى في مستعمراتها فصارت مستعمرة يهوديّة واحدة، فالكاتب يتعجّب من اليهود لما طالبوا بفلسطين كوطن وكلّ فرنسا ومستعمراتها وطن أول لهم، فقد كانت لهم دوافع خاصّة حين تشبّثوا بفلسطين كوطن

[1]- معاني الحروف، ص133.

ثانٍ، وهذه الدوافع هي إرواء العطش التاريخيّ لرغبتهم في اختلاق هويّة تاريخيّة تُبرز صلتهم بالأرض الفلسطينيّة، وتؤكّد حقّهم فيها على زعمهم، وإشباع الهوس الدينيّ والتطرّف على اعتبار ما لفلسطين بقُدسها من بعد دينيّ، فهي أرض الأنبياء ومسراهم، وأهم دافع هو النّكاية في المسلمين، أي حقدًا عليهم؛ بحرمانهم من قبلتهم الثّانية؛ وهي القدس الشريف؛ لأنّهم أشدّ الأعداء لهم: **(نحن لا نجهل تغلغل الصهيونيّة في فرنسا، ولا نجهل تحكّم اليهوديّة في مرافقها الحيويّة، وفي جهازها الحكوميّ، بل في كيانها الّذي هي به أمّة؛ بل نعدّ فرنسا ومستعمراتها واحدة يهوديّة، بل نستغرب مطالبة اليهود بوطن قومي، مع أنّ فرنسا كلّها وطن قومي لهم ... بل نحن نعتقد أنَّهم يطالبون من فلسطين بوطنٍ ثان بعد تحصيلهم على الوطن الأوّل؛ بحيث يكون لهم من فلسطين وطن؛ فيه المُنى والأحلام، وإرواء الظمإ التاريخيّ وإشباع الهوس الدينيّ)**[1]؛ أي أنَّ لليهود الصهاينة نزعة عارمة نحو التّملك والتّوسع، وحلمهم الأكبر أن يملكوا العالم كلّه، ويَسُوسُوه انتصارًا لعبارتهم الشهيرة: " **اليهود شعب الله المختار**"، وبذلك لهم الحق في أن يحكموا العالم بأسره.

وقد أفادت **(بل)** هنا الإضراب الانتقالي؛ بمعنى الانتقال من غرض إلى غرض موال ومن فكرة إلى فكرة موالية، من غير إلغاء الغرض الأوّل أو الفكرة الأولى؛ أي إضافة وتوسعا؛ لأنَّ **(بل)** في الكلام دائمًا ما تربط بين حجّتين تخدمان نتيجتين متعارضتين، وعادة ما تكون الحجج الواردة بعد هذا الرّابط الحجاجيّ أقوى وأشدّ تأثيرًا، فالقصد من **(بل)** أنَّ اليهود الصهاينة لمّا تغلغلوا في أجهزة الدولة الفرنسيّة ومستعمراتها لم يكتفوا بذلك، بل بالغوا في التغلغل وطلب النفوذ بالسياسة والمال، وراحوا يتغلغلون في كل المستعمرات الفرنسيّة إفريقية كانت أم عربيّة، وقد تعمّد الإبراهيمي توظيفها؛ لأنَّ وظيفتها سوق الحجج المتعارضة والمتعاندة، وبم أنَّ **(بل)** الحجاجيّة جاءت مرادفة لـ **(لكنّ)**، فالرّابط **(بل)** قد ربط بين الحجج والنّتائج، والنّتيجة المضادة أقوى من الحجّة الّتي سبقتها، فالحجّة (هي تغلغل الصهيونية) في

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص461.

فرنسا والنّتيجة: **(في كيانها الّذي هي به أمة)**، فقد وردت **(بل)** هنا للإضراب على جهة الترك، للانتقال من غرض إلى غرض آخر من غير إبطال.

6- الرّابط حتّى:

عمد الإبراهيمي إلى استعمال أسلوب المقارنة، حيث قارن الصهاينة الأوائل بالمتأخرين، كما قارن بين حقيقة اليهوديّ الأوّل واليهوديّ المتأخر، وأنَّ اليهودي طينة لا تتغيّر: **(ما أشبه الصهيونيين بأوّلهم في الاحتياط للحياة، أولئك لم يقنعوا بوعد الله فقالوا:** ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّـٰرِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا ﴾ (المائدة/22)، **وهؤلاء لم يثقوا بوعد بلفور حتّى ضمّنت لهم بريطانيا أن يكونوا في ظلّ حرابها، وتحت حماية مدافعها وقوانينها؛ وبكلّ ذلك استطاعوا أن يدخلوا مهاجرين ثم يصبحوا سادة مالكين)**[1].

كما استخدم الكاتب الحجّة النّقليّة بالارتكاز على الشاهد القرآني، إذ يتوسل بهذه الحجج النقليّة لإقناع المتلقّي بيقينيّة هذا المنقول، فالإسرائيليون لم يستأثروا بفلسطين بحدّ السّيف بل إنَّهم فعلوا ذلك بحدّ الحيلة والمكر والخداع، فقد دخلوا تجّارًا، ثمَّ عمدوا إلى شراء الأملاك إلى أن صاروا ولاّةً، ثمّ نازعوا الفلسطينيين أرضهم، وقد تمَّ تدعيمهم من قبل القوى الخارجيّة من خلال وعد بلفور، حين سلّمت بريطانيا فلسطين لليهود نكاية في الألمان، فلو دخلوها بحدّ السّيف لما استطاعوا إذن، فقد قالوا سلفًا للنّبي موسى – عليه السّلام – إنَّ فيها قومًا مقاتلين ولا طاقة لنا بهم فقوله: ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا ﴾، أفادت (حتّى) ها هنا الغاية الزّمنيّة، **(ومعنى حتّى الغاية وغاية الشّيء نهايته، والمراد أنَّها تعطف ما هو**

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص436.

نهاية في الزّيادة أو القلّة؛ والزّيادة إمّا في المقدار الحسيّ أو في المقدار المعنويّ)[1]؛ أي أنّهم لن يدخلوا هذه الأرض إلاّ بمعيّةٍ. فوظيفة الرّابط **(حتّى)** تتحدّد في ترتيب الحجج، فهي من الرّوابط المدرجة للحجّة القويّة؛ لأنّها تقود الحجج كلّها إلى خدمة نتيجة واحدة وهي أنَّهم دخلوها بالحيلة والغدر.

وقال في شاهد آخر: **(ويتقاضانا إخواننا المشردون في الفيافي، أبدانهم للسّوافي وأشلاؤهم للعوافي، أن لا ننعم حتّى ينعموا، وألاَّ نطعم حتّى يطعموا)**[2].

يذكّرنا الكاتب بالفلسطينيين الّذين شرّدتهم بنو صهيون، وأنَّه من واجب العرب المسلمون أن يتضامنوا مع إخوانهم وهو موقف انسانيّ؛ لأنَّهم ينشادونهم ويطالبونهم بالوقوف معهم ومؤازرتهم، فالإبراهيمي يخاطب العربيّ لاستثارة عروبته وعواطفه، وليساند أخاه الفلسطينيّ الّذي تتقاذفه رمال الصحراء من جهة، ويفتك به المرض من جهة أخرى، وما بقي من أشلائه فهي من نصيب الحيوان ليلاً، فهو يدعوا العربيّ ويناشده للوقوف جنبًا إلى جنب مع الفلسطينيّ، مستعينًا في ذلك بالرّابط (حتّى) الّذي أفاد الغاية الزّمنيّة، إذ لا فرح ولا ابتهاج ولا عيد حتّى ينعم أهل فلسطين، وقد وُظّف الرّابط حتّى ست عشرة (16) مرة وجميعها جاءت للغاية. فالقول المشتمل على الأداة **(حتّى)** لا يقبل الإبطال والتّعارض الحجاجيّ[3]؛ لأنَّ الرّابط الحجاجيّ في هذه البنية الحجاجيّة ربط بين مجموعة من الحجج المتتابعة، فكلّ الحجج سواء ما كان قبل الرّابط أو بعده تساندت جميعًا لخدمة نتيجة واحدة من قبيل استنهاض ضمير المسلم ونخوة العروبة فيه، ولكنّ الحجّة الواردة بعد الرّابط كانت

[1]– جمال الدّين أبي محمّد عبد الله بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 2001م، ص446.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص462.

[3]– أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص73.

الحجّة الأقوى والأظهر؛ لأنّها أكّدت على ضرورة المآزرة والمساندة، إذ جعل غايته أمرًا لا نقاش بعده.

7- الرّابط إنَّ:

لكلّ رابط دلالة، كما أنَّ لتكراره دلالة أخرى، فهذا الرّابط إنَّما أورده الإبراهيمي وكرّره إلحاحًا منه على عروبة الجزائريّ، وتوافقه في ذلك مع الفلسطينيّ، فيكون في المنتهى جامعًا من باب الشراكة معه بين ألق العروبة ومجد الدّين.

هذا ولجأ الإبراهيمي إلى إيراد الرّابط **(إنّ)** ليؤكّد مكانة فلسطين في قلب الجزائريّ فتكراره لصفة جزائري له دلالة واحدة، وهي أنَّه يخاطبه تحديدًا دون غيره، فقد جمع بين حدّي الصّفة والموصوف **<< مسلم جزائري >>** على اعتبار الشراكة في الانتماء الدّينيّ والعرقيّ.

فالبشير يكثر من الرّابط (إنّ)؛ لأنَّه يقرر جملة من الحقائق ويؤكّدها، فعادة ما تستخدم إنَّ في مقام التّقرير والتّأكيد؛ يقول الجرجاني: **(إنّ المتكلّم يلجأ إلى استعمال (إنَّ) حين يريد أن يبيّن أنَّ ما بعدها يصح به ما قبله ويحتجّ له ويبيّن وجه الفائدة فيه)**[1]، كما يعدّ الرّابط إنَّ من الأدوات الفعّالة حجاجيًّا لما يوفّره من إثبات وتأكّيد؛ لأنَّه يحمل المتلقّي على القبول، فالإذعان، فالاقتناع، وهو ما جعل خطاب الإبراهيمي أقوى حجاجيًّا وأقدر على الإقناع: **(إنّ في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحًا داميّة، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هاميّة، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة متردّدة هي فلسطين قطعة من وطني الإسلاميّ الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربيّ الصّغير وفي عنق كل مسلم جزائري لك – يا فلسطين– حق وواجب الأداء...)**[2]، فالبشير يعرف

[1]– دلائل الإعجاز، ص211.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص435.

تمامًا كيف يستفز متلقّيه، ويستنفر فيه هذه العواطف الفاعلة – الدّين والعروبة – فيدفعه إلى الوقوف إلى جانب أخيه الفلسطينيّ.

انتصر الكاتب للجمل الاسميّة للتّأكيد وإقناع المتلقّي، فكلّ ما اعتقده على أنَّه الحقيقة الّتي تقوم مقام المصادرة، إلاَّ وصاغ ذلك صيّاغةً اسميّةً ضمّنها النّاسخ إنَّ، ممّا يدفعنا إلى اعتبار ذلك كآليّة اعتمدها الكاتب، وبشكل متكرّر بلغ مائة وأربعة وخمسين (154) مرّة توسّل بها لتقديم توجيهاته؛ حثًّا على المساندة والمقاومة والنُصرة؛ بمقتضى نزعته الإصلاحيّة؛ إنَّه أدب الإصلاح، الّذي يخاطب الوجدان، ويستنهض الضمير ليقنع فيغير.

فالرجل ليس رجل قطر ولا رجل إقليم؛ إنَّه رجل الأمة حمل همّها وقضاياها، كما حمل همّ وطنه الجزائر، إنَّه يستنهض الهمم ويوقظ الشعوب المستضعفة، مقرّرًا في كل مناسبة أنَّ فلسطين جزء من الوطن العربيّ والإسلاميّ، مستندًا إلى الحجّة الدّينيّة، والحجّة العرقيّة المشفوعتين بالرّابط الحجاجيّ (إنّ)، وعيًا منه بأنَّ السبيل إلى عقل المتلقّي وإلى إقناعه يكون عبر فضاء الوجدان وأغواره، وليس أدلّ على ذلك من عبارة: **(إنّ في قلب كل مسلم جزائري)**، فالرّابط (إنَّ) أسهم هاهنا في ربط السبب بالنّتيجة، من خلال تقويتها ودعهما، وتعلّيلها، وهو ما حمل المخاطب على الإقناع.

8- الرّابط لأنَّ:

تذرّعت إسرائيل بحجّة الدّين والتّاريخ لتؤكّد حقّها في الأرض الفلسطينيّة، فهم يدّعون أنّها منسك كل الأديان السماويّة: الإسلام والمسيحية واليهودية؛ وبمقتضى ذلك فهي مِلْكٌ لكلّ الأديان، ولما كانت مِلك لهم، فهي مِلك للعربيّ والرّوميّ والصهيونيّ، ولكنّ حجّتها في الدّين مرفوضة، وفي التّاريخ مردودة: **(ويقولون إنَّ فلسطين منسك للأديان السّماوية الثلاثة وإنّها قبلة لأهل تلك الأديان جميعًا، فإن كان ما يقولون حقًّا – وهو حق في ذاته – فإنَّ أحقّ النّاس بالائتمان عليها العرب، لأنّهم مسلمون؛ والإسلام يوجب احترام الكتب**

والكتابيّين ويوجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسليّن، ويضمن إقامة الشعائر لليهود والمسيحيّين، لا اليهود الّذين كذّبوا الأنبياء وقتلوهم وصلبوا – بزعمهم – المسيح الصادق، وشردوا حواريّيه من فلسطين، وكفروا بمحمّد بعد ما جاءهم بالبيّنات)[1].

توسل البشير بالرّابط **(لأنّ)** ليعلّل سبب أحقيّة العرب لفلسطين، فهو يرى بأنَّهم أحقّ النّاس بالائتمان عليها، وحجّته في ذلك أنَّهم مسلمون، وأنَّ الإسلام هو القبلة العالميّة لكلّ الأديان؛ لأنَّه يوجب احترام الكتب من توراة وإنجيل وزابور، كما يوجب احترام الكتابيّين من النصارى واليهود، وهذا ما لا نجده عندهم، فاليهود لا يكادون يؤمنون بنبوة محمّد – صلى الله عليه وسلم – والنصارى يرفضونها، ولكنّ الإسلام لا يرفض نبوة سليمان وداوود، ولا نبوة موسى ولا المسيح – عليهم السّلام –، فالمسلمون يقرّون بجميع هذه النّبوات المتلاحقة بل لا يكتمل إيمان المسلم إلاّ بإيمانه القطعيّ بها، فالإسلام دين سمح لا يمنع أحدًا على اختلاف عقيدته من أن يؤدّي شعائره كما يشاء حتّى في أرض المسلميّن.

ابتدأ الكاتب نصه بعبارة: **(ويقولون إنّ فلسطين منسك للأديان السّماوية)** وهذا التّمهيد من الذريعة الّتي تفضي إلى وجود حجّة ثانية تبيّن ادّعاء هؤلاء، فكانت نتيجة هذه الحجّة: الأَوْلَى أن تكون رعاية فلسطين عربيّة إسلاميّة، والّتي صرح بها في الحجّة الثّانية في قوله: **(لأنَّهم مسلمون، والإسلام يوجب احترام الكتب والكتابيين ويوجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ويضمن إقامة الشّعائر لليهود والمسيحيّين)**، وعليه فالحجّة الثّانية أقوى من الحجّة الأولى؛ أي أنَّ عبارة الإسلام أحقّ بالقدس أقوى من ادّعاء بني صهيون بأحقّيتها لأنَّ الحجّة الثّانية جاءت بعد **(لأنَّ)** الحجاجيّة الّتي قامت بتبرير الحجّة الأولى، لذلك تعدّ

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص445.

(لأنّ) من أهمّ أدوات التّعليل، **(فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجيّ بها في أثناء تركيبه وتستعمل لتبرير الفعل)**[1]، وهو ما ضمن وظيفتها الحجاجية في هذا الخطاب.

- ثانيًا / العوامل الحجاجيّة:

تنوعت الأساليب في مقالات الإبراهيمي، وسنذكر صورا منها، أولها:

1- أسلوب الشّرط:

تردّدت الأساليب الشّرطية في النّصّ الإبراهيمي خمسة وخمسين (55) مرّة، تنوّعت بين إذا، ولو.

1-1-إذا:

استعان به الإبراهيمي في نصّ **(تصوير الفجيعة)** ليبيّن قيمة الأرض الفلسطينيّة فنجده قد قدّم ما أمكن من التّبريرات مستغلاً الحجّة الدّينيّة، فهي أُولى القبلتين، ومهبِط آدم – عليه السّلام – وعلى ظهرها درج سائر أنبياء الله – عليهم السّلام – فالقدس أرض ربطت عالم الإنسان الأرضي بعرش الرحمان، وهنا تركيز واضح على البعد؛ الدّيني الرّوحي.

والمُلاحظ أنَّ الرجل تلمس حجّته من ثقافته الدّينية الخالصة، وقد أسّس بمقتضى ذلك موقفه من القضيّة المعروضة، فراهن على تلك الحجج في إقناع المتلقّي لعلمه المسبق بقداسة ذلك في ضميره، فهو يخاطب الجزائري المسلم؛ لأنَّه يشاركه الاعتقاد ذاته، وهي من الذّريعة فإذا أردنا أن نقنع أحدًا فإنّنا نلجأ إلى ما كان في نطاق الشراكة الّتي تجمعنا به، وهو

[1]- ابن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب، ص478.

ما عمد إليه الإبراهيمي، مضمّنه أسلوب الشّرط الّذي يعدّ من طرائق الحجاج الفعّالة، فإذا تحقّق الشرط تحقّق جوابه.

كما استعان البشير بأساليب الشّرط الّتي ضمّنها أدوات التّوكّيد؛ (الفاء) المتصلة (بإنَّ)، الواقعة في صدر الشّرط، وهي قرائن تّقوية وتّوكّيد، وقد تكرّر أسلوب الشّرط كآليّة لسانيّة في الحجاج.

كما اهتدى بالحجّة التّاريخيّة، فالتّاريخ الّذي أشار إليه هو وليد التّغيير، الّذي أحدثه الإسلام في حياة العرب من خلال تحوّلهم – أي العرب – من الجاهلية إلى الإسلام، وهو انحراف إيجابي حاد، تبنّى من خلاله البشير استراتيجيّة الخطاب السّاخر المؤثّر، فالكاتب قبل حديثه عن الفجيعة ركّز على قيمة فلسطين وقيمة الدّين والتّاريخ، وهذا لإقناع المتلقّي بفضاعة الفاجعة، وليس لكسب تعاطفه مع القضيّة الفلسطينيّة، ليؤكّد ما تعرّضت له فلسطين من الشناعة والبشاعة، فقوله: **(إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتّراب والمآرب الّتي يقضيها الشباب، فإنّ هوى المسلم لك أنّ فيك أولى القبلتين، وأنّ فيك المسجد الأقصى الّذي بارك الله حوله، وإنّك كنت نهاية المرحلة الأرضيّة، وبداية المرحلة السّماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودًا، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطًا)**[1]، فهي جريمة ارتكبت في حقّ هذه الأرض المقدّسة الّتي لا تدانيها بطاح الأرض قاصيها ولا دانيها.

وفي قوله: **(إنّ بين دول الاستعمار علائق ماسّة، وإنّهن يتباعدن ما دام خيال الشّرق وبنيه والإسلام وأممه بعيدًا، فإذا لاح ذلك الخيال حنّت من الاستعمار الدماء وتعاطفت الأرحام، وتُنُوسيت الأحقاد، فهلا فعلنا مثل ما فعلوا ؟)**[2]، والمقصود بدول

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص435.

[2]– مص ن، ص438.

الاستعمار الدول الغربية: إسبانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا، تلك القوى الأربع الّتي تقاسمت العالم الثّالث، حيث أشار الإبراهيمي وأكّد على مصالحهم المشتركة، ومعلوم أنّ بين هذه الدّول صراعات خفيّة، لكنّها تتوحّد إذا ماجمعتها المصلحة، وقد استعان بأسلوب الشّرط ليؤكّد أنّ هذه الدول الأوربية مجتمعةً مثلت فضاء للصراع الداميّ، وليس أدلّ على ذلك من الحربيّن العالميتين الأولى والثّانية، وهذا دليل قاطع على أنّ هذه الدول تتعادى، ولكن تجمعها المصلحة، فصلاح الدول العربيّة في عدم اتّحاد هذه الدول الاستعمارية، **(فإذا لاح ذلك الخيال)** هي جملة شرط، وجوابها: **(حنّت من الاستعمار الدماء وتعاطفت الأرحام وتنوسيت الأحقاد)** فالعرب لا تكاد تجتمع؛ لأنّ سلطة الحقد فيهم أكبر من أي سلطة، ويختم الكاتب قوله بـ **(فهلا فعلنا مثل ما فعلوا ؟)**؛ والمقصود بهذا الاستفهام، أنَعْجزُ على أن نكون مثل هؤلاء الغربيين الّذين جمعتهم علاقات وطيدة تحت شعار وحدة المصلحة والهدف. والغرض من هذا الاستفهام؛ أنّه يحيل القضيّة إلى سلطة العقل لينظر فيها، فالغرب أمة شتّتها الأديان ووحّدتها السياسة، والعرب أمة وحّدها الدّين الإسلاميّ وفرّقتها السياسة.

1-2- لو:

وظّف الكاتب في حديثه عن القضيّة الفلسطينيّة **(لو)** الشّرطية، حيث تواترت سبع عشرة (17) مرّة، حاول من خلالها تقدّيم الاحتمالات لإدانة الجميع، فقوله: **(ولو أنّ السيوف أغمدت، والذّهب الصهيوني رجع إلى مكانه، وعرضت القضيّة على مجلس عدل وعقل لا يستهويه بريق الذّهب، ولا يرهبه بريق السيوف، لقال القانون: إن ثلاثة عشر قرناً كافية للتّملّك بحق الحيازة ...)**[1]؛ يقصد الإبراهيمي بهذا القول، لو أنّ البريطانيين تراجعوا عن فرض اليهود بحدّ السّيف على فلسطين، وتوقّف اليهود عن دفع المال للبريطانيين مقابل تمكّينهم فيها، وعرضت القضيّة الفلسطينيّة على هيئة دولة عادلة أو

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص436.

مجلس قضائي دولي عادل ومحايد، لحكم للفلسطينيّين بملكيّة الأرض الفلسطينيّة على اعتبار حيازة الملكيّة، ذلك أنّ اليهود تركوا تلك الأرض وقد مضى على ذلك ثلاثة عشر قرنًا فأنّى لهم العودة بعد ذلك ؟

تدلّ أداة الشّرط **(لو)** على **(امتناع الثّاني لامتناع الأوّل)**[1]، وقد استعمل البشير الشّرط بدلالة حجاجيّة لإحالة القضيّة الفلسطينيّة على مجلس دولي عادل، ولعلّ النّفي بما يحمله من الإنكار: **(لا يستهويه ... ولا يرهبه)** زاد من قوة حجّة الكاتب في عرض القضيّة وتدويلها؛ فجملة جواب الشّرط قد امتنعت لامتناع جمل الشّرط السّابقة المتعدّدة، لذلك ستمنع حيازة الفلسطينيين للأرض الفلسطينيّة لامتناع ماسبق ذلك من الشّروط.

وقوله في شاهد آخر:

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِيْ أَنْطَقَتْنِيْ رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الْرِمَاحَ أُجِرّتْ[2].

ويقصد بها، لو نطقت رماح قومي لنطقت أنا، ولو أنّ العرب اجتمعوا على الجهاد حربًا من أجل فلسطين، لكنت كفرد عربيّ على المقدار نفسه من الجرأة والإقدام، ولكن للأسف الشديد فرماح العرب اليوم مأجورة في خدمة العدو لا عليه، فهي خائنة للوطن والانتماء، والقصد من الرماح العرب بسلاحهم وأموالهم، وبكلّ ما تحصل به قوّتهم.

[1]– الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص273.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص463.

2- أسلوب الاستفهام:

يعدّ الاستفهام من الأفعال اللّغويّة الّتي يلجأ إليها المتكلّم لتحقيق أغراض حجاجيّة إقناعيّة، وتكمن مزاياه في الدّلالة المجازيّة لما فيها من أغراض وهو ما يسمّيه البلاغيّون بخروج الاستفهام عن معانيه الحقيقيّة إلى معانٍ مجازيّة **(بحسب ما يناسب المقام)**[1]، وإذا عدنا إلى خطاب الإبراهيمي لمعرفة تجليات أسلوب الاستفهام نجد أنّ **(الهمزة وهل)** قد تكرّرتا في عدّة مواضع مقارنة بالأدوات الأخرى، وتفسير كثرة ورودهما، إنّما تعود إلى احتوائهما على معان الحقيقة والمجاز في آن.

2-1- الهمزة:

كرّرها البشير في خطابه عشر (10) مرّات ، فقوله: (...**أيبيعها من لا يملكها ويشتريها من لا يستحقّها ؟ يا هوان يا فلسطين! ...)**[2]، هو استفهام إنكاري، يستنكر فيه الكاتب ويندّد بهذه الفاجعة الّتي ما استطاع أن يتخيّلها ولا أن يتقبّلها؛ لأنّ المقدّس لا يباع ولا يشترى، **(أيكون من ذوي الحق في بيعها تلك الدويلات الّتي لم تخلق خلقاً طبيعيّاً وإنّما خلقتها المنافسات، والّتي لم يبلغ الكثير منها جزءً ممّا بلغته فلسطين من مجد في التّاريخ، وسابقة في الحضارة ويد في نفع البشريّة، بل لم تبلغ مجتمعة ما بلغته فلسطين من احتضان النّبوات واستنباط الشّرائع والعلوم)**[3]، فالكاتب يستنكر تلك الجريمة الّتي ارتكبت في حقّ فلسطين، والاستفهام الإنكاري حسب الجرجاني: **(... واعلم إنّا وإنْ كنّا نفسّر الاستفهام في مثل هذا الإنكار، فإنّ الّذي هو محض المعنى، أنّه لينتبه السّامع حتّى**

---

[1]- جلال الدّين محمّد بن عبدالرحمان بن عمر أحمد بن عبد محمّد القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1424هـ، 2003م، ص112.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص445.

[3]- مص ن، ص ن.

يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب، إمّا لأنّه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه وإمّا لأنّه جوز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه)[1].

كما وظّف الإبراهيمي لفظ دويلات حطًا من قيمتها، فقد باعها الإنجليز وهم لا يملكونها، من خلال وعد بلفور واشتراها اليهود وهم لا يستحقّونها، ومعلوم أنّ تلك الدويلات الّتي كانت من وراء بيعها، ما كان لها حضور في التّاريخ، إنّما هي من مفرزات العهد الجديد القائم على مبدأ المنافسة والسبق تحقيقًا لأغراضها، ولعلّ أخصّها التخلّص من سطوة العنصر اليهودي فيها، فهذه الدويلات نالت فلسطين بأبخس الأثمان، وكان سبيلها إلى ذلك أطماع هذه الدول عبر امتداد التّاريخ المتجذّر في التّاريخ الإنساني، فهي أرض النّبوات والشّرائع، وأرض الحضارات جميعا، والواضح أنّ الإبراهيمي أقام ذلك على حجّة العقل. فكيف تباع فلسطين ممّن لا يملك حتّى مبرر وجوده، ولا الدّافع الموضوعيّ لفعل ذلك ؟!

2-2- هل:

إذا تتبّعنا ورود الحرف (هل) في النّص الإبراهيمي نجده قد تكرّر ست عشرة (16) مرّة يقول: **(... هذا أول الإنكليز عرفتموه، فهل عرفتم آخرهم؟ إنّهم كانوا أداة تفريقكم في الماضي وكانوا عونا للزمان عليكم، فلما رأوا شملكم إلى اجتماع، وجامعتكم إلى تحقّق جمعوا لكم كل ما عندهم من مكائد ومصائد ...)**[2].

جاء استفهام البشير في هذا الشّاهد استفهاما مجازيًّا، أفاد غرض التّقرير والتّعريض ثمّ راح بعد ذلك يفصّل في حقيقة الحدّ المستفهم عنه ويفضحه؛ ليكشف سوء صنيعه بالأمّة وما يكيد لها من الكيد، فالإنكليز هم حلقة الشر المفرغة؛ فقد حاكوا المكائد ولاكوا المصائد لفكك شمل العرب وتشتيتهم حتّى لا يكونوا عصبة متحدة؛ لأنّ في اتّحاد العرب خطر عليهم

[1]- دلائل الإعجاز، ص119.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص451.

وهذا ما تخشاه اليهود، فالإبراهيمي يطلب من العرب أن يقرّوا ويعترفوا بأن الّذي شرّدهم وفرّقهم هم الإنكليز، وما طلب منهم أن يقرّوا بوجودهم، لأنّ الإنكليز معروفون؛ وإنَّما أراد أن يؤكّد للعرب ماكان في حقّهم من جرم هؤلاء.

وقال في شاهد آخر: (... **هل من الجدّ أنّ هذه المظاهر مجتمعة هي كل ما لفلسطين على العرب من حقوق ؟ وهل هذه المظاهر الثلاثة مجتمعة تمحو قرار التّقسيم وتثبت حق العرب ؟ اللهم لا ...**)[1]؛ بمعنى أنّ هذه المظاهر المجتمعة ما بين التّنديد والتّعبير عن ذلك بالأقلام، وعقد النّدوات والاجتماعات، فهل هذه المظاهر الثلاث بالفعل هي فقط ما لفلسطين علينا من حقوق، أم أنّ فلسطين تحتاج إلى ردة فعل أقوى فأقوى، فهذه القرارات لم تقدم ولم تؤخّر في الأمر شيئا؛ لأنّها لو قدمت لا استقلت فلسطين منذ ذاك العهد، ولكن لم يحدث شيء إلى اليوم.

فالاستفهام هنا أفاد التعريض والتّشهير والازدراء من الموقف ؛ والتّعريض هو التّقليل من الشّأن، وهو موقف مخزٍ، فهل فلسطين تطلّب منّا – فقط – أن نمجّدها وأن نعبّر عن رفضنا لاحتلالها – فقط – في صفحات الجرائد والمجلاّت ؟ فالتّمجيد والتّنديد وما يرتبط بهما من مواقف الكلام كلّ ذلك غير كاف لتحريرها، فما أُخِذ بالسلاح لا يسترجع إلاّ بالسّلاح، وقد أقام الكاتب حجّته على العقل لاستنهاض الضمير العربيّ، وشحذ العروبة والنّخوة؛ لأنّ فلسطين لا تتحرّر بالإعلام وحده، فهؤلاء أخذوها عنوة بالنار والسّلاح، فأنّى للعرب – إذن – أن يردّوها بالأقلام والمداد؟!

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص454.

3- أسلوب النّفي:

القول المنفيّ حجّة لإقناع المتلقّي، لأنَّ النّفي من حجج القصد التّلميحي، فهو عامل حجاجيّ يحقّق به المحاجِج إذعان المحاجَج وإقناعه، فنجده قد تكرّر مئة وخمسة وسبعين (175) مرّة.

3-1- لا:

تتأسّس الحركة الصهيونيّة على المعرفة الدّينيّة ورأس المال، لتحقيق أهدافها، فالنّظام الصهيونيّ نظام اقتصاديّ قبل أن يكون نظامًا دينيًّا، وهو في تدينه مشبوه ومطعون، وحاله حال ذلك البنكيّ بعمامة العابد؛ **(إنّ الصهيونية فيما بلونا من ظاهر أمرها وباطنه نظام يقوم على الحاخام والصّيرفي والتّاجر، ويتسلّح بالتوراة والبنك والمصنع، وغايتها جمع طائفة قُدّر لها أن تعيش أوزاعاً بلا وازع، وقدر لها أن تعيش بلا وطن ...)**[1].

كرّر الإبراهيمي مصطلح الطائفة عن مقصديّة منه؛ ليكشف حقيقة الصهيونيّ المنافق؛ فهو الأكثر تعلّقا – كما يبدو – بالدنيا من خلال غواية المال والذهب، وحرصه على ذلك ما استطاع إليه سبيلا، فهو يرى تحقّق كيانه في تحقّق ثروته، وبتلك الثروة يسلب ما يشاء من حقوق الآخر؛ لذلك فهو خطر واجب أن نقاومه.

كما ركّز الكاتب على الحقيقة الطائفية، وفضح أهدافها وغاياتها الدّنيئة؛ بما في ذلك اعتقادها أنَّ جزيرة العرب موطن اليهود، متعمّدا إقحام المتلقّي في القضيّة الفلسطينيّة ليستشعره بالخطر، وليكون تفاعله معها بالدرجة ذاتها من الفاعليّة، فالخطر كل الخطر في تواجد الصهيونيّة اليهوديّة في الأرض العربيّة، وهذه آليّة من آليات الإقناع، وشكل من

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص439.

أشكال استراتيجيّة الخطاب الحجاجيّ، أين يصبح المخاطَب جزء من القضيّة المعروضة وطرفا فاعلاً فيها.

كما اعتمد البشير في عرض حججه على النّفي بـ (لا) ليثبت أنّ الصهاينة مجرّد شرذِمة وطائفة؛ لأنّهم لا يمثّلون عرقًا ولا شعبًا، فلكلّ شعب وطن، وليس للصهاينة اليهود وطن، لذلك نسبهم إلى الطائفة لينفي عنهم صفة المواطنة، ومعلوم أنّ قلّة هؤلاء دالّة على هوان أمرهم وضَعف شأنهم فكيف لهذه الطّائفة أن تتقوى على العرب جميعًا، بل وتعجز كل العرب عن مقاومتهم، وتقعدهم عن تحرير فلسطين من هذه القبضة الخبيثة ؟! فاليهود شتات ولكنّ قوّتهم تكمن في التّكنولوجيا ورأس المال.

3-2- لم:

عمد البشير إلى توظيف الحقيقة التّاريخيّة؛ لأنّها حقيقة محايدة وموضوعيّة: **(قال التاريخ: إنّ العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدّموا لهم فيها دولة قائمة، ولا تلوا لهم عرشًا مرفوعًا، وإنّما انتزعوها من الرّومان، فهم أحقّ بها من كل إنسان)**[1].

والقصد من هذا الشّاهد؛ نقل الحقيقة التّاريخيّة تحججا؛ فإن اختلف النّاس في الدّين فإنّهم لن يختلفوا في قبول حجج التّاريخ ووقائعه، والإبراهيمي على هذا الاعتبار حكيم محنك يعلم بأنّ خطابه موجه إلى خصوم الأمّة من الأوروبيين والأمريكان، وهو يعلم مسبقًا أنّ حقائق التّاريخ أكثر قبولاً من حقائق الدّين، بل وأقرب إلى العقل منها إلى النّفس؛ لأنّ الدّين مناط التّعصب، أمّا التّاريخ فمناط التّدبر، وقد تُقبل حقائق التّاريخ من غير تردّد إذا ما قام عليها دليل الحس والمعاينة، ثم إنّ الإنسان يقبل الحجّة التاريخية في عموم الحال؛ لأنّه يرى العظمة فيما يصنعه؛ وبهذا يكون التّاريخ سلطة نافذة في العربيّ والأجنبيّ على السواء والمسلم، واليهوديّ على السواء، قولاً بمقدرة الإنسان في صنع الأقدار.

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص437.

نفى الإبراهيمي أن تكون فلسطين لليهود، فالعرب أحقّ بها؛ لأنّ حقيقة الاستحقاق عائدة لمن دافع عنها عبر مسار التّاريخ، إنّه يؤكّد حقيقة مؤداها أنّ هؤلاء اليهود لم يدافعوا عنها يومًا، وأنّ العرب أَوْلَى بها منهم، فهم من أخذوها من قبضة الصليبيين والرّومان، قبل أن يكون لليهود دولة وكيان، فهو يؤكّد استحقاقها مستندًا على حقائق التّاريخ، ومعتمدا على معيار التّقادم، وهو مبدأ نقر به حقيقة الاستحقاق، أي أنّ العرب يستحقّون فلسطينّ؛ لأنّهم هم من فتحوها بالفتح المبيّن وانتزعوها من الرّومان والصليبيين.

فلا يمكّن إدراك عامليّة النّفي الحجاجيّة إلاّ بإدراك النّتيجة الّتي يريد المتكلّم توجيه جمهوره إليها، والنّتيجة في هذا الشّاهد هي قوله **(فهم أحق بها من كلّ إنسان)**، ويقصد العرب، فالأَوْلَى أن تكون لهم استنادًا إلى مبدأ الاستحقاق المدعوم بالمدافعة والتقادم.

4-أسلوب القصر:

وهو من العوامل الحجاجيّة الّتي يستند إليها المحاجج؛ لتوجيه خطابه الوجهة الّتي يراها مناسبة من أجل إقناع مخاطبه بجملة أحكامه وأفكاره، وقد تكرّر هذا الأسلوب في النّص الإبراهيمي واحدا وخمسين (51) مرّة، كما تنوّع ما بين: إنّما، و(ما...إلاّ) و(لا...إلاّ).

4-1- إنّما:

تكمن القوّة الحجاجيّة في القصر بطريقة **(إنّما)** في تركيز المتكلّم على المقصور الّذي يقع بعده مباشرة، **(وهي تفيد الكلام بعدها إيجاب لفعل الشّيء، ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة)**[1]؛ لأنّ وظيفة هذا العامل الحجاجيّ تكمن في التعارض الحجاجيّ فتشير إلى عكس ما هو وارد قبلها على وجه الاختلاف والتّناقض والتّعارض.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص335.

تعمّد الكاتب إيراد أسلوب القصر بـ **(إنّما)**، لأنّه من أقدر الأساليب على تعيين المعنى وتحدّيده ، كما يسهم في تأكّيده وتقريره فقوله: **(إنّما هو ذنب الاستعمار الّذي يحول بين المرء وأخيه والمرء وداره والمسلم وقبلته)**[1].

وعليه توسل البشير بأسلوب القصر طلبًا لتخصّيص المعنى، محملاً الاستعمار مسؤولية ما حدث لفلسطين، فهو يفضح سياسته وخططه والسبل الّتي سلكها في فرض الهيمنة على الشعوب العربيّة، وكيف أنّه يضعّفها بفك الرّوابط الاجتماعيّة والعقائديّة، الّتي هي مكمن القوّة والتوحيد، فيشتّتهم، ويرسل الفتنة بينهم لتعمل عملها، فأدّى بذلك هذا العامل الحجاجيّ دورًا مؤثّرا في إثبات أطروحة الذنب وتشتُت العرب.

فقد أراد الكاتب أن ينفي الذنب عن المسلم الجزائري، وأن يثبته على المستعمر وحاشيته، وهكذا نفى هذا العامل ما كان قبله وأثبت ما بعده، وذكر ديكرو أنّ إنّما إذا دخلت على الملفوظ وجهته نحو نتيجة محدّدة[2].

وقوله في شاهد آخر: **(إنّما يستحق التّراث من دافع عنه وحامى دونه)**[3]، يُرجع فيه الإبراهيمي حقيقة الاستحقاق لمن دافع عن فلسطين عبر المسار التّاريخيّ، ويؤكّد أنّ اليهود لم يدافعوا عنها يومًا، فيقصر هذا الاستحقاق على من دافع وحامى، **(إنّما يستحق)** توسل بقوّة القصر المشفوعة بالحجّة التّاريخيّة، فلجأ إلى ذلك ليقرّ ويقنع المتلقّي أنّ من يستحق المجد هو من ينتزعه عنوة، وأنّ فلسطين كانت ولا تزال عربيّة مسلمة.

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص436.

[2]– ينظر: عز الدّين النّاجح، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربية، ص54.

[3]– مص س، ص ن.

4-2- ما...إلاّ:

أكّد الإبراهيمي أنّ الكيان الغربي- بريطانيا تحديدًا – هو الكيان الأقوى الّذي كان سببا في تقديم فلسطين كهدية للصهاينة اليهود، ثمَّ حملوا بقية الشّعوب الضعيفة على التّصويت لهذا الكيان المزعوم بغرض التّوسع، ويرى البشير أنّ ما ارتكبه هؤلاء عند قبول العرض إنّما هو جريمة في حقّ العرب، فما فعلوا ذلك إلاّ بعد أن علموا ما في العربي من مواطن الضعف، فلمّا تفحصوا حاله، ووجدوه على شيء من الهوان والتّخاذل، أيقنوا يقينًا جازمًا أنّ هذا العربيّ بات مهزومًا – لا محالة – عندها فقط قرّروا قرارهم، وحقّقوا مبتغاهم واستأثروا بفلسطين دولةً لليهود وكيانًا.

ويذكر الإبراهيمي أنّه حينما هان أمر العرب صار جدّهم هزلا، وهزلهم جدّا، وأنّهم ليسوا على شيء من الوفاء والأمانة، وقد ابتعدوا عن قلاع التّعقل والحكمة، ومُسخت حالهم على حال الأمّة التّائهة الّتي لا تعرف لنفسها الصلاح، فاستأثرت بهم بريطانيا، وحملتهم على المساومة الرخيصة فدفعوا لها القدس مقابل دراهم معدودات، فهم لم يكونوا على مقدار ما من القوّة والدهاء والحكمة، وإنّما كانت الأكثريّة منهم تجنح إلى الجهل والتّشدّد والطّيش فلمّا كان أمر العرب على هذا الحال المزريّة؛ أتمّوا عليهم الحيلة.

ويؤكد الكاتب أنّ بريطانيا فعلت ذلك عن علم بحقيقة هذا الكيان العربيّ، وعلى ما فيه من الخلاف والتفاوت والضعف والهوان، يقول : **(إنّ الأقوياء الّذين تولّوا أمر التّقسيم، وحمّلوا أولئك الضّعفاء بالوعد والوعيد على التّصويت عليه ما ارتكبوا تلّك الجريمة الشّنعاء وغمّطوا حق العرب إلاّ بعد أن غمزوا مواقع الإحساس من العرب، فرأوهم جادّين كالهازلين، ورأوا منهم ناكثين كالغازلين، ورأوا في أمرائهم المقاومين على أعنف ما تحون المقاومة...وفي شعوبهم الجاهل والذاهل، والمتشدّد والمتساهل، فبنوا مقدمات الحكم على**

هذا التّفاوت في الكيان العربي، وغرّهم بالعرب الغرور)[1]، عمد إلى أسلوب القصر الّذي طريقته النّفي والاستثناء **(ما...إلاّ)** ليؤكّد أنّ العرب هم من مكّنوا هؤلاء من أنفسهم، وأيقظوا فيهم غرور التّوسع، فلما علموا بحقيقة ذلك، أدركوا بغيتهم وصار اليوم واحدا من أيامهم، وقد نام فيه العرب، وخبى في أرجائه نورهم، وتراجعت حكمتهم، وكان أمرهم في ذهاب وإدبار.

فقد قصر الإبراهيمي ارتكاب الجريمة على معرفة اليهود الحقّة بما في العربيّ من نقاط الضعف، واستغلالهم لها، وحجّته في ذلك هو طمع الغرب حينما قالو: **(نقسمها ونربح اليهود – أي– نضمن عاطفهم؛ لأنّ لنا فيهم فائدة معجّلة، ولا نخشى العرب لأنّه ليس فيهم مضرة مؤجّلة)**[2].

4-3- لا...إلاّ:

يقول الإبراهمي: **(يقيم اليهود معسكرات التّدريب ويُجهزون سفن التّهريب، كل ذلك تحت سمع الاستعمار الفرنسي وبصره، فلا يجدون منه إلاّ الأمن والعافية والأعين الغافية)**[3]، هنا قصر أفاد غرض التّخصّيص، إذ جعل اليهود الصهاينة مخصّوصين بالأمن والسلامة، وغض الطّرف عمّا يرتكبون من المجازر والجرائم في حقّ الفلسطينيين الأبرياء من غير أن يتدخل الفرنسيون بشيء من الاستنكار والتّنديد.

إنّ تغافل الفرنسيون على جرائم الصهاينة اليهود، وعلى معسكرات التدريب السّرية المتخصّصة في الاغتيال والجريمة المنظّمة، وكذا ما يجهّزون من سفن تهريب أسلحة الدّمار

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص443.

[2]– مص ن، ص ن.

[3]– مص ن، ص456.

الشامل وأسلحة الكيماويّ والأسلحة الجرثوميّة والغازيّة المميتة، وعلى ما شاكل ذلك من الممنوعات، هو في نظر العرف والقانون الدوليين أمر مسكوت عنه.

5- أسلوب النّداء:

للنداء دور واضح في بناء الخطاب الحجاجيّ، ذلك أنّ وجوده يوحي بوجود حوار في النّص، وقد اعتمده البشير اثنين وعشرين (22) مرّة، حيث تكمن قوّة فعل الكلام الإنجازيّ للنّداء في شد انتباه المخاطب.

5-1- الياء:

يقول البشير: **(يا فلسطين! ملكك الإسلام بالسيف ولكنّه ما ساسك ولا ساس بنيك بالحيف، فما بال هذه الطّائفة الصهيونيّة اليوم تنكر الحق، وتتجاهل الحقيقة، وتجحد الفضل، وتكفّر النعمة)**[1] يقصد الكاتب هنا أن الإسلام فتح فلسطين جهادًا بالسيف، ولكنّه ما حكمها بعد فتحها بالاستبداد والظلم، بخلاف الرومانيين السّابقين، والمستعمرين الغربيين اللاحقين.

والنّداء هنا على غير العاقل، إذ قام على تشخّيص المنادى رفعا من الشّأن، واستدلالا على ما يُكنّه من الود الخالص له وما يروم من المناصرة إزاءه، – وهو فوق ذلك نداء يتعدّى إلى لفت انتباه الآخر صديقًا كان أم عدوًّا – خاصّة إلى حقيقة نبل الإسلام وإنسانيّته لما حكم فلسطين، فهو نداء لإسماع العالم كلّه، وشهادة على نبل القضيّة وإنسانيتها.

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص436.

5-2- أيّها:

وظّف الإبراهيمي النّداء بـ **(أيّها)** للتّخصّيص بالدّعوة الّتي روّج لها، فهي ليست فقط للفت الانتباه، بل ولتحسيس الفئة المعنيّة بتحمّل مسؤوليتها الدّينيّة والتّاريخيّة: **(أيّها العرب ... أيّها المسلمون ! إنّ فلسطين وديعة محمّد عندنا، وأمانة عمر في ذمّتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة إنّا إذا لخاسرون)**[1].

وهذه الفئة المعنيّة هي العرب والمسلمون، فقد توسّل بالنّداء المشفوع (بإنّ) للتقوية والتّوكّيد، ولتقرير حقيقة أن فلسطين أمانة وعهد في أعناق العرب والمسلمين.

وجاء في شاهد آخر: **(أيّها العرب ! إنّ قضيّة فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهمّكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنّما هي للعرب كلّهم، وليست حقوق العرب فيها تنال بأنّها حق في نفسها، وليست تُنال بِالهُوِيْنَا والضعف، وليست تنال بالشعريّات والخطابات، وإنّما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوّة)**[2]. وفي هذه الفقرة توسل الإبراهيمي بالنّزعة القوميّة للإقناع، ليس لأنّه عربي، بل لأنّ الواجب يدعوه بحكم إسلامه وعروبته، فالمجتمع الفلسطينيّ كما هو معلوم فيه المسلم والمسيحي، لهذا تحدّث عن العرب دون تمييز، وهو ما ننْعته بالنّزعة القوميّة، فما دمت عربيا فأنت معني بفلسطين.

هكذا تمثل البشير مفهوم القوميّة، فهي تتجاوز الانتماء الدّيني ومتطلباته، والنّداء في قوله جاء من باب تعميم القضيّة، ففلسطين ليست حكرًا على المسلمين وحدهم، بل العرب جميعًا، لذلك عمّم القضيّة بأسلوب النّداء المشفوع بأسلوب القصر؛ لتقويّة المعنى، فقوله

---

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص445.

[2]- مص ن، ص438.

(أيّها العرب ... إنّما هي للعرب كلّهم)، قصر فلسطين على العرب جميعا دون استثناء، إذ يكفيه أنّهم عرب وكفى، بغض النّظر عن انتماءاتهم الدّينيّة والطّائفية ما بين مسيحيين ومسلميّن.

خلاصة:

لقد كان المضمون الدّيني عنصرًا أساسًا وفاعلاً في نص الإبراهيمي، بل ومرجعيّة حجاجيّة دائمة الحضور والتّجلي؛ تعبّر عن ثقافة الكاتب الإسلاميّة وعن طبيعة نزعته الإصلاحيّة، كما مثّلت العروبة أيضًا مجالاً فاعلاً للمناورة ضمن الاستراتيجيّة الحجاجيّة المعتمدة، وتم تقديمها بطريقة تعزّز صلة الجزائري الوثيقة بفلسطين ببعديها: الدّيني والقومي. وبرزت الأدوات اللّغويّة كأهم الآليّات اللّسانيّة، إذ مثلث دورًا هامًا في عمليّة التحجّج، فكانت نصوصه – على هذا الاعتبار– معبّرة عن قداسة الأرض الفلسطينيّة وعراقة عروبتها، لتستهدف بذلك عاطفة المتلقّي العربيّ عامّة والجزائري خاصّة، ولئن حدث فيه تفعيل في النّفس والفكر والموقف؛ طلبًا لردّة الفعل المنشودة.

خاتمة

إنَّ أهمَّ ما توصل إليه بحثنا الموسوم بـ " **الحجاج وآلياته اللّسانيّة في " مقالات (عيون البصائر) لمحمّد البشير الإبراهيمي أنموذجًا** " من الاستنتاجات والنّتائج عبر معالجة إشكاليّته المطروحة ما يلي:

– أنَّ للحجاج علاقة وطيدة باللّغة، يضرب بجذوره عميقًا في تاريخ الإنسانيّة الموغل في القِدم، إذ كانت اللّغة الوعاء الّذي احتضن الحجاج، لما تحمله من أساليب ووسائل إقناعيّة وبالمقابل كان الحجاج المصدر الأوّل الّذي استقت منه اللّغة أسس الحوار والمناقشة، والتّأثير، والإقناع.

– أنَّ الدّارسين ومنظّري الحجاج الغربيين استطاعوا – في أثناء سعيهم لتحدّيد علاقته بالعلوم – أن يقفوا على مفهومه، وهو مفهوم يتّسع ليشمل كلّ ما استطاع المتكلّم تقديمه لإقناع المتلقّي، إذ لم يعد الحجاج بالنّسبة إليهم مجرّد جدل خطابي وكفى، بل هو استراتيجيّة خطابيّة معقدة، يتبناها المتكلم لتحقيق ما يريده من المخاطب.

– أنَّ مفهوم الحجاج يتجاوز المفهوم العامّ الّذي علق بالأذهان؛ والّذي يرتبط بوجاهة الحجّة لا غير، لذا فتوظيفه في النّصوص أشمل وأوسع بكثير من ممارسته كفلسفة حواريّة لإقناع الآخر؛ وذلك لتعدّد آلياته ووسائله اللّغويّة.

– أنَّ الاتّجاهات الغربيّة والعربيّة أسهمت في وضع نظريّات حديثة للحجاج أوّلها الدّراسات الحجاجيّة مع " **بيرلمان وتيتكاه** "، الّتي عرفت بعثًا للموروث الأرسطي، ومن خلال دمج الجدل والخطابة في نموذج موحد؛ أوجد مجالاً معرفيًّا جديدًا، أطلقا عليه اسم **(البلاغة الجديدة)**.

– أنَّ هناك دراسات أخرى منها ما قدّمها " **ديكرو وأنسكومبر** "، قد استهدفت دراسة الوسائل اللّغويّة في إطار ما يعرف بالتّداوليّة المدمجة؛ فكلّ قول في نظرهما مهما كانت الغاية منه، ومهما كان الدافع إليه هو قول حجاجيّ بالضرورة.

– أنَّ " **ميشال ماييـر** " سعى من خلال نظريّته إلى تحديد طبيعة الكلام ووظيفته التّساؤلية، إذ يكمن جوهر العمليّة الحجاجيّة حسبه في ربط الحجاج بنظريّة المساءلة. كما استهدف " **تولمين** " دراسة الأدوات الحجاجيّة في الاستخدام اللّغويّ من خلال الرسوم الحجاجيّة الّتي صاغها في كتابه.

– لقي الحجاج نصيبًا مقبولاً من الدّراسات العربيّة القديمة من ناحية التّنظير والممارسة، فقد كان له حضور كبير مثّله " **الجاحظ** " في كتابه " **البيان والتّبيين** " و"**الجرجاني** " في كتابيه " **دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة** "، وغيرهما... أمّا في الدّرس العربيّ الحديث، فقد اهتمّ العرب بالحجاج من خلال الأبحاث والمقالات الجامعة بين ثقافة الموروث ومتطلّبات الفكر المعاصر، وهذا ما نجده في أعمال: طه " **عبد الرّحمن، ومحمّد العمري** "، وغيرهما...

– أنَّ محمّدا البشير الإبراهيمي ينتمي فنيًّا إلى مدرسة الصّنعة اللّفظيّة الكلاسيكيّة علمًا بأنَّ أهل الصّنعة أقدر النّاس على استخدام أدوات الرّبط والتّفنن فيها؛ طلبًا للتّأثير والإقناع؛ الّذي هو غاية كلّ خطاب حجاجيّ.

– أن التحجّج عند محمّد البشير الإبراهيمي توزع على أنواع ثلاثة من الحجّة: الحجّة الدينية، والحجّة التاريخية، والحجّة اللّسانيّة.

– برزت الأدوات اللّغويّة في مقالات محمّد البشير الإبراهيمي؛ المدرجة في مدونته **(عيون البصائر)** كأهمّ الآليات الّتي ساعدتنا على فهم خطابه وتأويله، إذ مثلت دورًا هامًا في عمليّة التحجّج؛ ومكنتنا من عقد العلاقات بين الحجج الموظفة ونّتائجها.

– أنَّ الحجاج قد تحقّق في **(عيون البصائر)** باستعمال آليات لّغوية عديدة: كالرّوابط الحجاجيّة؛ الّتي يتمثّل دورها في الرّبط الحجاجيّ بين قضيّتين؛ وأبرز هذه الرّوابط: الواو

وثمّ، وأو، ولكنّ، وبل وحتّى، وإنّ، ولأنّ. وقد أسهمت هذه الرّوابط الحجاجيّة في النّص الإبراهيمي في اتساق وانسجام الخطاب الحجاجيّ الإقناعيّ عنده.

– أنَّ غاية العوامل الحجاجيّة في **(عيون البصائر)** تكمن في حصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة المتاحة؛ بخلاف الرّوابط السابقة؛ لأنّها لا تربط بين الحجج، وإنّما تقوم بحصرها وأبرز هذه العوامل: أسلوب الشّرط، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب النّفي، وأسلوب القصر وأسلوب النّداء.

– تعدّدت وسائل الإقناع والتّأثير في النّص الإبراهيمي، لتحقّق أسمى درجات التّواصل، والتّفاعل بين المتكلّم والمتلقّي؛ من أجل الوصول إلى الانقياد والتّسليم، وهو ما يجعل منه استراتيجيّة تواصليّة بامتياز.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ هذه الدّراسة كانت دراسة تطبيقيّة في نماذج مختارة لا غير، فلم نقف عند جميع الرّوابط والعوامل الحجاجيّة المستخدمة، ولكنّنا وقفنا فقط عند ما بدا لنا أنّه أكثر الآليات حضورًا في مقالات الإبراهمي، والّتي ما تزال فضاءً دراسيًّا مفتوحًا، ومتجدّدًا. وقد أثبت صاحبها – من خلالها – أنّه الخطيب البارع، والمحاجج المتمرّس، والعلامة الموفق، فهو قامة قلم ومستودع علم، يمتلك طاقة تعبيريّة فذّة مكّنته من توظيف أدوات اللّغة توظيفًا خاصًّا دعّم حججه، فكانت سبيلاً إلى تحقيق الإمتاع والإقناع معا.

ملاحق

- أوّلا / نُبذة عن حياة العلاّمة محمّد البشير الإبراهيمي:

أ- التعريف به:

آثرت أنْ أقدِّم لمحة عن حياة العلاّمة محمّد البشير الإبراهيمي، من خلال ما كتبه نجلُه أحمد طالب الإبراهيمي في كتابه: " **آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي** " وذلك في جزئه الأوّل الَّذي صدَّره بمقدمة عن حياة والده، إذ قسّمها إلى محطّات ومراحل تطّرق فيها إلى أهمَّ الأحداث والمواقف في حياة العلاّمة.

ولد محمّد البشير الإبراهيمي بقرية رأس الوادي، عام 1889م، في بيت من بيوت العلم والدّين. وقد أتمَّ حفظ القرآن الكريم على عمّه الشّيخ المكّي الإبراهيمي، الّذي اكتشف موهبته المبكّرة فعالج أمر تعليمه بكثير من الحرص والتّركيز.

وفي عام 1911م لحق بوالده إلى المدينة المنوّرة؛ هروبًا من ويلات الاستعمار الفرنسي، فمر بمصر، وقد التقى فيها بعدد من علمائها وأدبائها وشعرائها، كما حضر دروسًا في العلم بالأزهر الشريف. وباستقراره في المدينة المنوّرة درس البشير على يد أكبر علمائِها الوافدين من كلّ أنحاء العالم الإسلاميّ يوم ذاك: علوم التفسير، وعلوم الفقه، وعلوم الحديث والتراجُم، وأنساب العرب، وأدبهم ودواوينهم. كما درس علم المنطق، والحكمة المشرقيَّة وحاور أمّهات كتب اللّغة والأدب العربيين.

وفي عام 1913م التقى العلاّمة الإبراهيمي بالشّيخ الإمام عبد الحميد بن باديس فكانت تلك اللّقاءات المتكرّرة ميلادًا لفكرة تأسّيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين.

وفي عام 1917م انتقل الإبراهيمي إلى دمشق، حيث دعته حكومتها لتدريس الآداب العربيّة بالمدرسة السلطانيّة، وبها – دمشق – راح يلقّي دروس الوعظ والإرشاد في الجامع الأُمويّ حتى سنة 1920م، وهي سنة عودته إلى الوطن، وهو يحمل مشروعا نهضويًّا

جديدا، جسدته جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين الّتي تأسّست عام1931م، برئاسة الإمام عبد الحميد بن باديس.

وبعد وفاة رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1940م تحمّل الإبراهيمي قيادة الجمعيّة وهو في منفاه بـ **(قرية آفلو)**، وبعد إطلاق سراحه عام 1943م أصبح قائدًا مفوضا للحركة الدينيّة، والعلميّة، والثقافيّة في الجزائر، يجُوب ربوعها مرشدًا وموجّهًا، ليُوحّد الصفوف، ويُهيّئ العقول، ويُؤسّس المدارس.

وبعد أحداث 08 ماي عام 1945م زُجّ به في السّجن، وقد استأنف نشاطه بعد مرور سنة كاملة، بإحيائه لجريدة **(عيون البصائر)** بعد توقّفها، فكان المشرف على تحريرها، كما أسّس معهدًا تربويّا باسم صديقه الإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة.

وفي عام 1952م سافر إلى المشرق حاملاً القضيّة الجزائريّة، ومُعرفًا بها هنالك وبعد استقلال الجزائر عاد الشّيخ الإبراهيمي إليها موجهًا ومعلّمًا، وظلّ كذلك حتّى وافته المنيّة في عام 1965م.

ب- النّصّ الإبراهيمي:

مثّل كتاب آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، في جزئه الثالث **(عيون البصائر)** والّذي ألّفه نجلُه أحمد طالب الإبراهيمي مدونة بحثنا؛ وهي مجموعة من المقالات سمّاها الإبراهيمي بـ **<< عيون البصائر >>** عن قصد منه.

ومن المعلوم أنّ لكلمة **<< العين >>** في لغة العرب معانٍ كثيرة؛ منها: **(العين؛ نبع الماء، والماء هو مصدر الحياة، فكأنَّ << عيون البصائر >> << ماءٌ فكريٌّ >> تحيا به العقول، كما تحيا بالماء الحقول وقد كانت عيون البصائر<< ماء حيويا >> ضدّ الأفكار الميّتة... والعين هي آلة الإبصار الّتي تمنع المرء من الوقوع في المطبات، والاصطدام**

بالأشياء، وقد كانت هذه المقالات عيونًا أبصر بها الجزائريون طريقهم، ورأوا بها عدوّهم...وصاحبُ هذه الآثار هو محمّد البشير طالب الإبراهيمي<< فمحمّد >> اسم مفعول من << التّحميد >>، والإمام يستحقّ ذلك لعظيم فعاله، وجليل جلاله، و<< البشير >> فقد كان الإمام بشيرًا لوطنه وقومه، زرع فيهم الأمل ودعاهم إلى العمل، و<< طالب >> فقد كان الإمام طالب حقّ لوطنه، وطالب كرامة لقومه وطالب غزو سُؤدد لأمته <<الإبراهيمي>> وقد قبض الإمام قبضة جهاد وأبيه إبراهيم عليه السلام ضد الشرك والضلال)[1].

وقد كانت قضيّة القضايا في عيون بصائره هي فلسطين، الّتي صوّرها فأحسن صُورها، وجادل عنها فأتقن الجدال، إذ دبَّج عنها مقالات لم يُبلها تعاقب الأيام، وعَنَت لها أئمة الكلام، وأعجزت حملة الأقلام، وخضعت لها كلمة الأعلام، فقد جاء فيها بما لم يأت الأوائل من بيان رائع وبرهان ساطع، ودليل قاطع، حتّى قال عنها الأستاذ **(فايز الصائغ)** أستاذ الفلسفة بالجامعة الأمريكيّة ببيروت: **<< إنَّه لم يكتب مثلها من يوم جرت الأقلام في قضيّة فلسطين >>**[2].

لقد كانت تلك المقالات آيّة في صدق لهجتها، وعمق معاناة كاتبها، فلم تترك خائنًا إلاَّ كشفته، ولا جبانًا إلاَّ عيّرته، ولا بخيلاً إلاَّ وبّخته، ولا مقصّرًا إلاَّ عنّفته، ولا متقاعسًا إلاَّ وخّزته، ولا خاذلاً إلاَّ فضحته[3].

فالكاتب لم يكتف في قضيّة فلسطين بالقول، لكنَّه سارع إلى الفعل، فشكَّل هيئة عليا لإعانة فلسطين، فكانت هذه الهيئة هي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

---

[1]– ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص32،33.

[2]– مص ن، ص30.

[3]– مص ن، ص ن.

وتعدّ نصوصه ذات طابع إقناعيّ، وذلك باستخدامه لآليات لغويّة عبّرت عن ثقافته المعرفيّة والعقائديّة، والتي بها نشارك الفلسطين دينهم وعروبتهم، فكان – على هذا الاعتبار– متّصلاً بمخاطبيه، مراعيًا لحال مستمعيه، فجاءت نصّوصه بأسلوب علميّ مقنع وآليات لسانيّة موثقة، أكسبا القضيّة الفلسطينيّة الحجّة والبرهان.

فلسطين (1)

تصوير الفجيعة*

يا فلسطين! إنّ في قلب كل مسلم جزائريّ من قضيتك جروحًا دامية، وفي جفن كل مسلمٍ جزائري من محنتك عبراتٍ هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير؛ وفي عُنق كل مسلم جزائري لك – يا فلسطين – حقٌّ واجبُ الأداء، وذمام متأكّد الرعاية، فإن فرّط في جنبك، أو أضاع بعضَ حقك، فما الذنب ذنبُه، وإنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه، والمرء وداره، والمسلم وقبلته.

يا فلسطين! إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب، والمآرب التي يقضيها الشباب، فإنّ هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، وأنّ فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وإنك كنت نهاية المرحلة الأرضية، وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودًا، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطًا؛ وإليك إليك ترامت همم الفاتحين، وترامت الأيْنق الذلل بالفاتحين، تحمل الهدى والسلام، وشرائع الإسلام، وتنقل النبوّة العامة إلى أرض النبوات الخاصة، وثمار الوحي الجديد إلى منابت الوحي القديم، وتكشف عن الحقيقة التي كانت وقفت عند تبوك بقيادة محمد بن عبد الله، ثم وقفت عند مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، فكانت الغزوتان تحويمًا من الإسلام عليك، وكانت الثالثة وِرْدًا، وكانت النتيجة أن الإسلام طهرك من رجس الرومان، كما طهر أطراف الجزيرة قبلك من رجس الأوثان.

داست حماك سنابك الخيول البابليّة، وجاست خلال الديار، وسُبي بنوك (أسلاف الصهيونيين)، فلم يتصر لك ولا لهم أحد، لولا أن منّ عليهم الفاتحون المستعبدون، وإن

---

* نشرت في العدد 5 من جريدة «البصائر»، 5 سبتمبر سنة 1947.

المنّ لأنكى على الحر من الاسترقاق؛ ثم غزاك الرومان، وأذلُّوا بنيك واشتفّوا منهم إثخانًا في القتل وانتقامًا – زعموا – من جريرة الصلب، وما ظلمت يا فلسطين، ولكنّ بَنيكِ جرّوا عليك الجرائر، وما كنتِ لتُفْلِتي من براثن الرومان لولا أن انتصف الله لك من عدوّك بالإسلام والعرب، فنصروك وطهّروك وبلُّوا الرحمَ الإبراهيميّة بِبُلالها، ووفّوا لأبناء العمومة بحقّ القربَى والجوار، وأصبحت من ذلك الحين ملكًا ثابتًا للإسلام، وإرثًا مستحقًّا من موسى لمحمد، ومن التوراة للقرآن، ومن إسحق لإسماعيل.

يا فلسطين! ملكك الإسلام بالسيف ولكنه ما ساسك ولا ساس بنيك بالحيف، فما بالُ هذه الطائفة الصهيونية اليوم تُنكر الحق، وتتجاهل الحقيقة، وتجحد الفضل، وتكفُر النعمة؛ فتُزاحمُ العربيّ الوارث باستحقاق عن موارد الرزق فيك، ثم تَغْلو فتزعم أنه لا شرب له من ذلك المورد.

ما بالُ هذه الطائفة تدّعي ما ليس لها بحق، وتطوي عشرات القرون لتصلَ – بسفاهتها – وعدَ موسى بوعد «بلفور»، وإن بينهما لَمَدًّا وجزْرًا من الأحداث، وجذبًا ودفعًا من الفاتحين.

ما بالُها تدّعي إرثًا لم يَدفَعْ عنه أسلافها غارةَ بابل، ولا غزو الرومان، ولا عادية الصليبيين، وإنما يستحق التراث من دافع عنه وحامى دونه، وما دافع بابل إلا انحسارُ الموجة البابلية بعد أن بلغَتْ مداها، وما دافع الرومان إلا عمر والعرب وأبطال اليرموك وأجنادين، وما دافع الصليب وحامليه إلا صلاح الدين وفوارس (حِطّين).

إن العرب على الخصوص، والمسلمين على العموم، حرّروا فلسطين مرّتين في التاريخ، ودفعوا عنها الغارات المجتاحة مرّات، وانتظم ملكهم إياها ثلاثة عشر قرنًا. وعاش فيها بنو إسرائيل تحت راية الإسلام وفي ظل حمايته آمنين على أرواحهم، وأبدانهم، وأعراضهم، وأموالهم، وعلى دينهم، ومن المحال أن يحيف المسلم الذي يؤمن بموسى، على قوم موسى.

ما أشبه الصهيونيين بأوّلهم في الاحتياط للحياة، أولئك لم يقنعوا بوعد الله، فقالوا: ﴿يا موسى إنّ فيها قومًا جبّارين، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها﴾، وهؤلاء لم يثقوا بوعد بلفور حتى ضمنت لهم بريطانيا أن يكونوا في ظل حرابها، وتحت حماية مدافعها وقوانينها؛ وبكل ذلك استطاعوا أن يدخلوا مهاجرين ثم يصبحوا سادة مالكين، ودعْ عنك حديث الإرهاب فما هو إلّا سراب.

ولو أنّ السيوف الإنجليزية أُغمدت، والذهب الصهيوني رجع إلى مكانه، وعُرضت القضية على مجلس عدل وعقل لا يَستهويه بريق الذهب، ولا يرهبه بريق السيوف، لقال القانون: إن ثلاثة عشر قرنًا كافية للتملّك بحق الحيازة، وقال الدين: إن أحق الناس بمدافن

الأنبياء هم الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، وقال التاريخ: إن العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا لهم فيها دولةً قائمة، ولا ثلُّوا لهم عرشًا مرفوعًا، وإنما انتزعوها من الرومان، فهم أحق بها من كل إنسان.

* * *

إن الصهيونية فيما بلونا من ظاهر أمرها وباطنه نظام يقوم على الحاخام والصيرفي والتاجر، ويتسلّح بالتوراة والبنك والمصنع، وغايتها جمعُ طائفة قُدّر لها أن تعيش أوزاعًا بلا وازع، وقُدِّر لها أن تعيش بلا وطن – ولكن جميع الأوطان لها – فجاءت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تُسمِّيه قولًا فلسطين، ثم تُفسِّره فعلًا بجزيرة العرب كلها، فهو في حقيقته استعمار من طراز جديد في أسلوبه ودواعيه وحُججه وغاياته، يجتمع مع الاستعمار المعروف في أشياء، وتفرّق بينهما فوارق، منها أن الصهيونية تعتمد قبل كل شيء على الذهب، تشتري به الضمائر والأرض والسلاح، وتشتري به السكوتَ والنطق، وتشتري به الحكومات والشعوب، تعتمد عليه وعلى الحيلة والمكر والتباكي والتصاغر في حينه، وعلى التنمّر والإرهاب في فرصته.

إن فلسطينَ أرض عربيّة لأنها قطعة من جزيرة العرب، وموطن عريق لسلائل من العرب، استقرّ فيها العرب أكثرَ مما استقرّ اليهود، وتمكّن فيها الإسلام أكثر مما تمكّنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادتْ فيها العربية أكثر مما سادت العبرية، وما الانتداب الإنجليزي إلا باطل، ليس من مصلحة العرب ولا من مصلحة اليهود؛ وما الوطن القومي إلا خيال جسّمتْه الأحلام الدينية، والمطامع المادية؛ وما منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ولجنة التحقيق إلا تعلّات لا تُسكِت ولا تُسَكِّن، وما استمرار الهجرة إلا مدٌّ للحمأة وتأريث للنار، ومَن ضاقت به رحاب الدنيا لا تسعه فلسطين، ومن لفظته حواشي الأرض لا تستقرّ به فلسطين، أمّا حديث التشريد والمشرّدين من اليهود فهو مشترك إلزام في القضية؛ وما أكثر المشرَّدين في الأمم الإسلامية، بل ما أكثر المشرَّدين من العرب، فإذا أخذْنا الرحمة بالمشرّدين قاعدةً كان أحق الناس بها مشرّدي العرب الذين لا يفصلهم عنها بحر ولا يقال في هجرتهم إليها إنها شرعية أو بدعية كما يقال في هجرة اليهود، وما ظُلِمت كلمة الشرع بأفحش من نسبة الحيل إليها عند بعض فقهائها، ومن نسبة الهجرة اليهودية إليها عند فقهاء الاستعمار.

* * *

أيظنُّ الظانُّون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها، لا والله، ويأبى لها ذلك شرف الإسلام ومجد العروبة ووشائج القربى، ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته، وأبى حلها لمصلحته، وقايض بفلسطين لمصلحته، هو الذي يُباعد بين أجزاء الإسلام لئلا تلتئم، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم، وهيهات هيهات لما يروم.

إن بين دول الاستعمار علائق ماسّة، وإنهنّ يتباعدن ما دام خيال الشرق وبنيه والإسلام وأممه بعيدًا، فإذا لاح ذلك الخيال حنّت من الاستعمار الدماء، وتعاطفت الأرحام، وتُنوسيت الأحقاد، فهلّا فعلنا مثل ما فعلوا؟

أيها العرب! إن قضية فلسطين محنةٌ امتحن الله بها ضمائركم وهممكم وأموالكم ووجاهتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست حقوق العرب فيها تُنال بأنها حق في نفسها، وليست تُنال بالهوينا والضعف، وليست تنال بالشعريات والخطابيّات، وإنما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة.

إن الصهيونية وأنصارها مصمّمون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه.

وكونوا حائطًا لا صدع فيه ... وصفًّا لا يُرقَّع بالكُسالى

فلسطين (2)

وصف قرار تقسيمها*

تصدّع ليلُ فلسطين الداجي عن فجر كاذب العيان، وتمخّض مورد الطامعين في إنصاف أوربا القديمة وأوربا الجديدة عن آل لماع يرفع الشخوص ويضعها في عين الرائي لا في لَمْس اللامس، وباء الظانُّون ظنَّ الخير بالضميرين الأوربي والأمريكي بما يستحقّونه من خيبة تعقُبها حسرة، تعقُبها ندامة؛ وتكشف ذلك اللبس الذي دام عشرات السنين عن الحقيقة البيضاء، وهي أن حق الشرق لا وليَّ له في الغرب ولا نصير، وجاء بها هذا المجلس الذي يُسمّونه - زورًا - مجلسَ الأمم المتحدة شنعاء لا تُوارَى من أحكام القاسطين، وأحلام الطامعين.

تراءى الحقُّ والباطل في ذلك المجلس، لا العربُ واليهود، وجاء أهل الحق يحملون المنطق، ويخطبون المعدلة، ويخاطبون الضمير والعقل، ويحتكمون إلى الشعور والإحساس وما منهم إلا مَن هو في الخصام مبين؛ وجاء أهل الباطل يحملون الإبهام المضلِّل، والكيد المبيّت، والمكر الخفي، والدعاوى المقطوعة من أدلّتها، ومع كل أولئك - الرنين الساحر يستهوُون به الأفئدة الهواء والضمائر الخربة؛ وأنصتَ التاريخ ليسجّل الشهادة، واستشرف الكون لينظر هل تُخرَق للأقوياء عادة؛ ونُشِر الأصل والدعوى، وتعارضت البيّنة والشبهة، وأفصح الحق واتّضح، ولجلج الباطل وافتضح، ولكنّ تلك الدول المتحدة على الباطل ألجمها الحق بحججه، وأجرّتها الحقيقة بوضوحها، فحكموا الانتخاب... وليت شعري أي موضع للانتخاب هنا؟ إن تحكيم الانتخاب هنا كتحكيم القُرعة بين أصحاب الحظوظ المتفاوتة، كصاحب العشر مع صاحب النصف، كلاهما باطل، لا يسيغه عقل ولا شرع... وأي فرق بين ما نعيبه من تحكيم الجاهلية للأزلام الصمّاء وحصى التصافُن، وبين تحكيم أصوات من أموات وويلات، سمّوهم ممثّلي دويلات؟

* نشرت في العدد 21 من جريدة «البصائر»، 2 فبراير سنة 1948.

فلسطين (3)

العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء*

إنّ الأقوياء الذين تولّوا أمر التقسيم، وحملوا أولئك الضعفاء بالوعد والوعيد على التصويت عليه، ما ارتكبوا تلك الجريمة الشنعاء وغمطوا حق العرب، إلا بعد أن غمزوا مواقعَ الإحساس من العرب، فرأوهم جادّين كالهازلين، ورأوا منهم ناكثين كالغازلين، ورأوا في أمرائهم المقاومين على أعنف ما تكون المقاومة، والمساومين على أخس ما تكون المساومة، وفي شعوبهم الجاهل والذاهل، والمتشدّد والمتساهل؛ فبنوا مقدمات الحكم على هذا التفاوت في الكيان العربي، وغرّهم بالعرب الغرور، ولم يُتبعوا الأيام نظرَهم، بل وقعت عينهم على يوم العرب وأغفلوا غدهم؛ ثم فعلوا الفعلة النكراء فوازنوا بين ما تملك من قوى مادية تستطيع بها المماذّة في الجهاد، وبين ما يملك الصهيونيون من ذلك، ودرسوا وقارنوا واستخدموا الجمع والطرح، فأنتجَتْ لهم المقدمات هذه الحقائق، وهي أننا لا نملك مصنعًا للسلاح، ولا معملًا للكيمياء ولا رجالًا فنّيين كالذي يملكه اليهود من كل ذلك، وأن ثلاثين سنةً مرّت – وكلها نُذر بهذه العاقبة – لم توقظنا من غفلتنا، ولم تدفعنا إلى الاستعداد لها، فقالوا: نقسمها، ونربح اليهود، لأنَّ لنا فيهم فائدة معجّلة، ولا نخشى العرب لأنه ليس فيهم مضرّة مؤجّلة.

ولكن فات أولئك البانين لكل شيء على الماديّات أن هناك سلاحًا أمضى من جميع الأسلحة المادية، وأنه الشرط الأول في نفعها وغنائها، وهو سلاح الروحانيات، من إيمان بالحق، واعتداد بالنفس، وحفاظ على الكرامة، وتقديس للشرف، وإباء للضيم، ومغالاة بالتضحية والفداء، واستخفاف بالظلم والظالمين؛ وفاتهم أن العرب وإن نزُر حظهم من القوى المادية التي لا يستهين بها إلا جاهل، فإنّ حظهم موفور من القوى الروحية التي لا يستهين بها إلا مغرور. وستتقابل القوّتان في فلسطين: قوة الروح ومعها الحق، وقوة المادة

* نشرت في العدد 22 من جريدة «البصائر»، 9 فيفري سنة 1948.

كنعان في واحدة من هذه، وإنما هي كتابة الله بشرطها، ومعجزة موسى في حدودها. ولكنَّها في هذا العصر، عصر الحضارة، حضارة القرن العشرين؛ وعصر الديمقراطية، ديمقراطية العالم الجديد؛ وعصر الحرية، حرية الثورة الفرنسية؛ وعصر الشيوعية، شيوعية ماركس ولينين، تؤخذ في سوق الأغراض والمنافع الخسيسة بيعًا ومساومة...

فات اليهود أن يأخذوها بالسيف من العرب فيكفِّروا بعد عشرات القرون عن سيّئة اجترحها أسلافهم يوم قالوا: ﴿يا موسى إن فيها قومًا جبّارين﴾؛ فاتهم ذلك، وأعوزتهم الخصائص الدمويّة التي يكونون بها كذلك، فلجأوا إلى ما هو الأشبه بهم لا بها، وهو... وهو الشراء. شراء القوي ليكون لهم معينًا، وبحمايتهم رهينًا، وشراء المعلنات اللافتة، والأصوات ولو كانت... خافتة!...

يا بخس فلسطين!... أيبيعها من لا يملكها ويشتريها من لا يستحقّها؟ يا هوان فلسطين!... أيكون من ذوي الحق في بيعها تلك الدويلات التي لم تُخلَق خلقًا طبيعيًا وإنما خلقتها المنافسات، والتي لم يبلغ الكثير منها جزءًا مما بلغته فلسطين من مجد في التاريخ، وسابِقة في الحضارة، ويد في نفع البشرية. بل لم تبلغ مجتمعةً ما بلغته فلسطين من احتضان النبوّات واستنباط الشرائع والعلوم والحكم.

ويقولون إنّ فلسطين منسك للأديان السماوية الثلاثة وإنها قبلة لأهل تلك الأديان جميعًا، فإن كان ما يقولون حقًّا - وهو حق في ذاته - فإن أحق الناس بالائتمان عليها العرب، لأنهم مسلمون، والإسلام يُوجب احترام الكُتب والكتابيين، ويوجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، ويضمن إقامة الشعائر لليهود والمسيحيين، لا اليهودُ الذين كذَّبوا الأنبياء وقتلوهم، وصلبوا - بزعمهم - المسيح الصادق، وشرّدوا حواريه من فلسطين، وكفروا بمحمد بعد ما جاءهم بالبيّنات.

ومن غريب ما صنعته الحضارة المادية بأهلها، وما طبعت عليه نفوسهم من جفاف، وما ابتلتْ به ضمائرهم من زيغ وانحراف، أن الدولَ والدويلات التي صوّت ممثلوها على تقسيم فلسطين وغرس اليهودية في الجزء الأهم منها غرسًا رسميًا قانونيًا؛ كلها دول تدين أممها بالمسيحية، وباعتقاد أن اليهود صلبوا المسيح... فهل يُلام العرب بعد هذا - والمسلمون من ورائهم - إذا اعتقدوا أنها حرب صليبية، بعض أسلحتها اليهود، وأنها ممالأة مكشوفة من الدينين الصالب والمصلوب على الإسلام؛ نعم وإن كلمة المارشال اللنبي التي قالها يوم انتزع القدس من يد الأتراك لا تزال مأثورة مشهورة، ولا يزال رنينها مجلجلًا في الآذان، وصداها متجاوبًا في الأذهان.

أيها العرب، أيها المسلمون!

إن فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمّتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منّا ونحن عصبة إنّا إذًا لخاسرون.

هذا أول الإنكليز عرفتموه، فهل عرفتم آخرهم؟ إنهم كانوا أداة تفريقكم في الماضي، وكانوا عونًا للزمان عليكم، فلمّا رأوا شملكم إلى اجتماع، وجامعتكم إلى تحقّق، جمعوا لكم كل ما عندهم من مكائد ومصائد...

إنهم ينطوون لكم على العظائم، وإنّ في جعبتهم ما في جعبة الحاوي من حيّات. وإن في أيديهم عروق الجسم العربي يضغطون على أيّها شاءوا متى شاءوا، في أيديهم قضية مصر يساومون بها ويماكسون، وفي أيديهم قضية السودان يلوّحون بها ويعاكسون، وفي ايديهم قضية ليبيا يشاغبون بها ويشاكسون، وفي قبضتهم شرق الأردن بما فيه، وما شرق الأردن إلا خيط الخنق، وشريط الشنق، قتله الإنكليز بأيديهم، وأمرُّوا على الأيام قتله لأمرٍ هُم بالغوه إن لم تهُبُّوا وتذبُّوا؛ وفي أيديهم العراق ومنابعه، واليمن وتوابعه، ولهم على سوريا ولبنان يد ممنونة، في طيّها مُدْية مسنونة، وفي أيديهم مفاتيح الجزيرة، وأمراء الجزيرة، وقد أعدّوا لكل قفل من أقفالها مفتاحًا، ولكل أمير من أمرائها مِقودًا من رغبة أو من رهبة، ولهم مع ذلك من بينكم العيون الراصدة، والألسنة الحاصدة، وفيكم مع ذلك الآذانُ السامعة، والهمم الطامعة، وفي سجلّاتهم ذممكم وهممكم وقيمتكم، قدّروها تقديرًا، وأوسعوها تحليلًا وتدبيرًا.

إنهم ما حرّكوا مشروع سوريا الكبرى في ميقات معلوم إلا ليفتنوا بعضكم ببعض، ويغروا بيتًا ببيت، وقريتًا بتميم، فينخرق الإجماع وتفترق الجامعة، وإن هذه النقطة هي أعلى ما يصل إليه الدهاء الإنكليزي؛ كما أنها أعسر امتحان للضمير العربي الذي يتمنّى أن يتكتل العرب ولكن بدافع من أنفسهم لا على يد عدوّهم؛ وإن الإنكليز لقادرون على تحريك غيرها من الفتن المفرقة؛ وإنكم – أيها العرب – لا تردُّون كيدهم إلا بإجماعكم على تحديهم، واجتماعكم على إيقاف تعدّيهم، وإقامة جامعتكم على اعتبار مصلحة العرب، ووطن العرب، فوق الأغراض والأشخاص.

إنكم لا تردّون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية، حتى تُسندوها بجامعة الشعوب العربية؛ فحرّكوا في وجوههم تلك الكتلة متراصةً يرهبوا ثم يذهبوا.

* * *

لمسنا في هذه الكلمة حقائق مريرة وأومأنا إلى قضايا يسوءُنا أن نزيد حمأتها مدًّا. ولكن ما عذرنا إذا أمسكنا عن الشرح، ولو كان فيه جرح؛ وقد تأدّى إلينا من تراث أجدادنا العرب هذه الحكمة الغالية: «من كتم داءه قتله».

أما ما يجب علينا لفلسطين فموضعه مقال آخر.

ولكن... هل من الجدّ أن هذه المظاهر الثلاثة مجتمعةً هي كل ما لفلسطين على العرب من حقوق؟ وهل هذه المظاهر الثلاثة مجتمعة تمحو قرار التقسيم، وتُثبت حق العرب؟ اللهم لا...

ثم كان المظهر الرابع اجتماعات وزراء الدول العربية باسم جامعتها، وزعماء العرب السياسيين وقادتهم العسكريين، لتنسيق الآراء وترتيب الخطط وتدبير المقاومة المشتركة، وقد بلغوا من ذلك ما أقرَّ عيون العرب وهدّأ خواطرهم، وإن قال قائلون: إنهم تباطأوا في أمر يجب فيه الاستعجال، وأطالوا الروية فيما يلزم فيه الارتجال، وقال آخرون: إنهم ما زالوا يؤثرون الديبلوماسية ومجاملاتها مع دهاة الديبلوماسية، ويُخشى أن يكون من آثار ذلك فتٌّ في الأعضاء وتوهين للعزائم وتنفيس على العدوّ في الوقت.

أمّا الحقّ الذي مكانه من هذه المظاهر مكان البسملة من اللّوح، فهو ما قام به عرب فلسطين الأبطال الذين كشفوا عن صواب الرأي القِناع، وحذفوا من الجملة حرف الامتناع، ونبذوا التردد، وأخذوا بالمغافصة، ومحوا بالسيف ما قال ابن دارة[2]، وفتحوا باب الموت على مصراعيْه، و «تآسوا فسنّوا للكرام التآسيا»[3]، وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالأقلام، وهذا هو الواجب شرعه عرب فلسطين لجميع العرب.

* * *

أعمال عرب فلسطين مقدّمة فأين الكتاب؟ وطليعة فأين الكتائب؟ وواجب فأين ما لا يتمّ الواجب إلا به؟

ما على عرب فلسطين – بعد ذلك – من سبيل، إنما السبيل على العرب في مشارق الأرض ومغاربها، حكومات وقادةً وشعوبًا رجالًا ونساءً، وليست القضية قضية جماعة أو حكومة أو قطر؛ وإنما هي مسألة العرب جميعًا؛ لا يستبرئون لعهد العروبة وأمانتها إلا بالقيام بها جميعًا. ثم هي – بعد – قضية استعمار أحول، رجلُه في فلسطين وعينُه على العراق والخليج وأعالي اليمن، وعينه الأخرى على مصر؛ فإذا لم يُبادر العرب بالاصطلام، بادرهم بالالتهام:

هما خطتا: إمّا إسارٌ ومنّة وإما دمٌ، والموت بالحر أجدر

إن الواجب على العرب لفلسطين يتألف من جزءين: المال والرجال، وإن حظوظهم من هذا الواجب متفاوتة بتفاوتهم في القرب والبعد، ودرجات الإمكان وحدود الاستطاعة ووجود

2) تلميح لقول الشاعر العربي: محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا.
3) عجز بيت وصدره: وإن الألى بالطفّ من آل هاشم.

فلسطين (7)

أما عرب الشمال الافريقي...*

أمّا عرب الشمال الافريقي فهم عرب ولا فخر، وواجبهم في إنقاذ فلسطين هو واجب جميع العرب مع اعتبار العذر. ولكن... الله لعرب الشمال الافريقي وما يلقون من ظلم الجار، وبُعد الدار، وَعَنت الاستعمار، يتجاورون مع اليهود في وطن، ولكل منهما في فلسطين هوًى ملحّ يصهر الجوانح؛ ولكنّ أحد الفريقين يعلن هواه إلى حد العربدة فيُعذر ولا يُعذَل، والآخر يُخفي هواه ويخشى أن تنمّ عليه نأمة فيناقشُ الحساب.

يقيم اليهود معسكرات التدريب، ويُجَهزون سفن التهريب، كل ذلك تحت سمع الاستعمار الفرنسي وبصره، فلا يجدون منه إلا الأمن والعافية، والأعين الغافية، ولو همّ العرب بشيء من ذلك أو بأقلّ القليل منه، لقامت قيامة الاستعمار الفرنسي، واستخرج لكل حركة اسمًا مما اشتمل عليه قاموس المحرَّمات، وربط بكل اسم منها عقوبة تنصّ عليها القوانين المدَّخرة لوقت الحاجة.

ويسافر اليهود إلى فلسطين أو إلى حيث يشاءون لأنهم فرنسيّون بالاستلحاق على مذهب الأستاذ «كريميو»، ولا يستطيع العرب أن يجاوزوا الحدود لأنهم «مدجّنون»، والتدجين من لوازمه تشديد المراقبة، وتغليظ المعاقبة.

ويجمع اليهود عشرات الملايين باسم فلسطين لتكون في السلم أدوات تعمير، وفي الحرب آلات تقتيل وتدمير، فلا يحول بينهم وبين ذلك قانون ولا كانون؛ ولو أراد العرب شيئًا من ذلك لوجدوا أمامهم القوانين العائقة، والإجراءات الخانقة.

ويرى الرأي العام الفرنسي المسيطر على هذا الشمال، ومن ورائه الضمير الأوربي الذي يؤمن به بعضُ الأغرار منّا، هذا التفاوت في العمل والمعاملة، فلا يغُضّ من عنان الحرية لليهود حتى يرجعهم إلى الحد المعقول، ولا يسلسُ للعرب حتى يقفوا مع اليهود في درجة واحدة.

* نشرت في العدد 30 من جريدة «البصائر»، 5 أفريل سنة 1948.

لا نستطيع إمداد فلسطين بالرجال لأنه ليس لنا ما لليهود من تسهيلات، وليس عندنا ما عندهم من اتصالات ومؤسسات. وإنما نستطيع أن نمدَّ بالمال، فليعمل العاملون لذلك وليقفوا جهودهم على ذلك، فإنه أيسر علينا وأنفع لفلسطين، وليقُم أهلُ الرأي والثقة بتكوين لجان مركزية في العواصم تتفرّع منها لجان فرعية في الأقاليم، وليُعلنوا عملهم للأمة. ولتقم الأمة بواجبها، ولتعلم أن الغالي رخيص في سبيل عُروبة فلسطين، وأن صوم أسبوع في الشهر وادّخار نفقاته لفلسطين لمما يسهل على الفقير، وإن هجر الشهوات أسبوعًا من الشهر وإرصاد نفقاته لفلسطين لمما يسهل على الغني، وأن هجر الملاهي المبيدة للمال شهرًا كاملًا ووقف ما كان يُنفق فيها على فلسطين لأمر ميسور للغني والفقير معًا، وإن التعفّف عن كماليات الحياة عامًا كاملًا وشراء شرف الدهر بقيمها لأمر غيرُ بعيد من همّة العربي، وإن النور الذي أشرق في نفس عثمان بن عفّان فخرج من ماله وجهّز جيش العسرة لغير غريب عن نفس المسلم.

ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد!...

* * *

أما أنا، كاتب هذه السطور، فوالذي روحي بيده لو كنت أملك ما يملكه العموري[2] من سَخْل، أو ما يملكه البسكريّ من نخل، أو ما يملكه الفلّاح من أرض، أو ما يملكه الحضري من دور ورباع، أو ما يملكه الكانز من ورِق وورَق، لخرجتُ من ذلك كله في سبيل عروبة فلسطين، ثم لا تجدُني مع ذلك منّانًا ولا كنودًا، ولكنني أملك من هذه الدنيا مكتبة متواضعة هي كل ما يرثه الوارث عني، وإنني أضعُها خالصًا مخلصًا، بكتبها وخزائنها تحت تصرّف اللجنة التي تُشكَّل لإمداد فلسطين، ولا أستثني منها إلا نسخةً من المصحف للتلاوة، ونسخة من كل من الصحيحين للدراسة[3].

---

2) نسبة إلى منطقة «عَمور» بالجزائر المشهورة بتربية الأغنام.

3) شكّلنا اللجنة المركزية في العاصمة (الجزائر) وشرعنا في تشكيل اللجان الفرعية، كل ذلك تحت إشرافي فجمعت اللجان التي تمكّنت من العمل تسعة ملايين من الفرنكات حملها أمناء منّا إلى باريس ودفعوها إلى الأستاذ أحمد عبد الخالق ثروت سفير مصر إذ ذاك بفرنسا لقاء إيصالات رسمية ليدفعها إلى الجامعة العربية، وقد فعل، فقد سألت الأستاذ عبد الرحمن عزّام عنها حين قدمت مصر قبل إحدى عشرة سنة فأفادني وصولها ولا أدري ما فعل بها. ولم يكن من الممكن إرسالها على غير هذه الطريق.

أما مكتبتي التي وهبتها لفلسطين، فما كاد الوفد الذي ألفناه لجمع الإعانات يرجع من رحلته الأولى حتى جاءت الأخبار باجتياح اليهود صحراء النقب، ووصولهم إلى العقبة، وانهيار الجيوش العربية، إذ كانت لا ترجع إلى قيادة واحدة، وخروج الفلسطينيين من ديارهم حسب ما رسم الإنكليز ووكلوا تنفيذها إلى صنيعتهم بل عبدهم المطيع عبد الله، فظهر للجنة أن لا تتسلّم المكتبة ولا تتسبّب في تشتيتها مثل العرب.

كلّها مستعمرةً واحدة يهودية، بل نستغرب مطالبةَ اليهود بوطن قومي، مع أن فرنسا كلّها وطن قومي لهم، لم يفقدوا فيه إلا الاسم وما أهونه؛ بل نحن نعتقد أنهم يطالبون من فلسطين بوطن ثان بعد تحصيلهم على الوطن الأول؛ بحيث يكون لهم من فلسطين وطن؛ فيه المُنى والأحلام، وإرواء الظمإ التاريخي، وإشباع الهوس الديني، والنكاية في المسلمين بالتسلُّط على قبلتهم الأولى، ويكون ذلك الوطن في الأخير مفتاحَ الشرق؛ ثم يكون لهم من فرنسا وطن فيه المال والجاه ومُتع الحضارة، والأخذ بناصية التجارة، والسلطان الفعلي على الوزراء والوزارة، والنكاية في الكنيسة المسيحية بالاستيلاء على بنتها البكر.

فعلت فرنسا كلّ ذلك خوفًا من اليهود، أو تأثّرًا بنفوذهم، أو انسياقًا بعصاهم، وهذا هو الصحيح، ولم تفعله مجاملةً لهم؛ إذ لو كان للمجاملة هنا مجال لكان العرب والمسلمون أحقّ من تُجامله فرنسا، وهي التي طالما رفعت صوتها - في معرض الافتخار - بأنها دولة إسلامية.

في المغرب العربي الذي تتحكّم فيه فرنسا، وتستأثر بخيراته، وتستميت في سبيل الاحتفاظ به، خمسة وعشرون مليونًا من العرب المسلمين؛ وكلهم أعطوا فرنسا ولم يأخذوا منها؛ في حين أنّ اليهود أخذوا منها كلّ شيء، ولم يُعطوها شيئًا؛ ولكلّ هذه الملايين هوًى في فلسطين، واعتقادٌ لعروبة فلسطين، ووشائج قربى مع عرب فلسطين؛ فكان واجب السياسة والكياسة معًا يتقاضى فرنسا أن تراعي عواطفهم نحو فلسطين، وأن تتباعد عن كل ما يجرحها، وأن تتّخذ من ذلك كلّه ذريعة للحياة؛ ولو فعلتْ لربحت من إرضاء هذه الملايين من القلوب ما هو أعود عليها بالخير من دولارات أمريكا، ولكنها لم تفعل ولن تفعل لأن الأمر ليس بيدها.

• • •

من الغريب أن الفرنسي الرسمي يسهل عليه أن يقول: إن فرنسا دولة إسلامية، مع أنه ليس للمسلمين أية يد في تسيير الدولة، ولا يسهُل عليه أن يقول: إنّ فرنسا دولة يهوديّة، مع أن اليهود فيها هم كلّ شيء، وهو يقول الأولى رياءً أو افتخارًا، ولا يقول الثانية أنفةً أو احتقارًا. فما أشبه الفرنسي في هذا الباب بالمتألّه المغرور، يلعنُ الشيطان وهو متّبع لخُطواته.

فلسطين (9)

عيد الأضحى وفلسطين*

النفوس حزينة، واليوم يوم الزينة، فماذا نصنع؟

إخواننا مشرَّدون، فهل نحن من الرحمة والعطف مجرَّدون؟

تتقاضانا العادة أن نفرح في العيد ونبتهج، وأن نتبادل التهاني، وأن نطرح الهموم، وأن نتهادى البشائر.

وتتقاضانا فلسطين أن نحزن لمحنتها ونغتمّ، ونُعنَى بقضيتها ونهتمّ.

ويتقاضانا إخواننا المشرّدون في الفيافي، أبدانهم للسوافي، وأشلاؤهم للعوافي، أن لا ننعم حتى ينعموا، وأن لا نطعم حتى يطعموا.

ليت شعري!... هل أتى عبّادَ الفلس والطين، ما حلّ ببني أبيهم في فلسطين؟

أيها العرب، لا عيد، حتى تنفذوا في صهيون الوعيد، وتُنجزوا لفلسطين المواعيد، ولا نحر، حتى تقذفوا بصهيون في البحر.

ولا أضحى، حتى يظمأ صهيون في أرض فلسطين ويضحى.

أيها العرب: حرام أن تنعموا وإخوانكم بؤساء، وحرام أن تطعموا وإخوانكم جياع، وحرام أن تطمئنّ بكم المضاجع وإخوانكم يفترشون الغبراء.

أيها المسلمون: افهموا ما في هذا العيد من رموز الفداء والتضحية والمعاناة، لا ما فيه من معاني الزينة والدعة والمطاعم. ذاك حق الله على الروح، وهذا حق الجسد عليكم.

---

* نشرت في العدد 53 من جريدة «البصائر»، 18 أكتوبر سنة 1948.

إن بين جنبيّ ألمًا يتذَّى، وإن في جوانحي نارًا تتلظّى، وإن بين أناملي قلمًا سُمته أن يجري فجمح، وأن يسمح فما سمح، وإن في ذهني معاني أنحى عليها الهم فتهافتت، وإن على لساني كلمات حبسها الغم فتخافتت.

فلو أنَّ قومي أنطقتْني رماحُهم نطقت ولكن الرماح أجَرّتِ

قائمة المصادر و المراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1/ المدوّنة:

1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1997، ج3.

2/ المصادر والمراجع:

2) أحمد خضر حسين الحسن، أسلوب الشّرط معناه ودلالته بين النّحويين والأصوليين الدار العالمية للنشر والتّوزيع، مصر، ط1، 2016.

3) بدر حسين علي المحمّداوي، الأساليب الإنشائيّة في التّوقيعات المهدوية: دراسة نحوية (رسالة ماجستير)، مركز الدراسات التّخصّصية في الإمام المهدي، ط1 1436هـ.

4) أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (بحث ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه)، تنسيق حمّو النّقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2006.

5) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2010.

6) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2006.

7) جلال الدين محمّد عبد الرحمان بن عمر أحمد بن محمّد القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م.

8) جمال الدّين أبي محمد عبد الله بن يوسف، شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 2001.

9) جمال الدّين بن هشام الأنصاري(ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، 1998.

10) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، دط، 2000.

11) جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط1، 2016.

12) الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدّين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1922.

13) حسن علي بن عيسى الرّماني (ت384هـ)، معاني الحروف، تح: عبد الفتّاح اسماعيلي شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدّة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1981.

14) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2011.

15) صولة عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج والخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكاه، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الأدب، منوبة، تونس، 1998.

16) صولة عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج والخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكاه، ضمن أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الأدب، منوبة، تونس، ط1، 1998.

17) صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار فارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

18) عادل عبد اللّطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013.

19) أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرد (ت286هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، دط، 1994، ج1.

20) عبد الجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص التّرغيب والتّرهيب عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016.

21) عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدّين السّيوطي (ت911هـ)، الأشباه والنظائر في النّحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، 1985م، ج7.

22) عبد السّلام محمّد هارون، الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربي، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط5، 1421هـ، 2001م.

23) عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني (ت471هـ)، دلائل الإعجاز، تعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.

24) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب " مقاربة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

25) عزّ الدّين النّاجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.

26) عمر بن عثمان بن قنبر سبويه (ت793)، الكتاب، تح: عبد السّلام محمد هارون عالم الكتب، دت، ط3، 1983، ج2/1.

27) أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت، ج3.

28) أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور (ت711هـ)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ج10.

29) قادا عبد العالي، الحجاج في الخطاب السياسي، كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1 2016.

30) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت538هـ)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998 ج1.

31) أبو القاسم عبد الرحمان بن اسحاق الزجّاجي، حروف المعاني، تح: علي توفيق الحَمَد، دار الأمل إربد، الأردن، ط2، 1406هـ، 1986م.

32) قيس اسماعيل الأوسي، أساليب الطّلب عند النّحويين والبلاغيين، وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، بيت الحكمة، جامعة بغداد، العراق، ط1، 1988.

33) مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: تنظير وتطبيق على السور المكّية، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015.

34) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

35) محمّد بن الحسن رضي الدّين الأستراباذي (ت686هـ)، شرح الرّضي على الكافية تح: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران، دط، 1978، ج2.

36) محمّد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008.

37) محمّد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الأدب، منوبة، تونس، ط1، 1998.

38) محمود أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر، دمشق، سورية ط1، 1422هـ، 2001.

39) مكناسي صفية، مقومات الحجاج في الخطاب الاصلاحي الجزائري، الشيخ محمّد البشير الابراهيمي، مقارنة توظيفية لآليات الإقناع، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، ط1، 2016.

40) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ط2، 1987م.

41) هادي نهر، كتاب النحو التطبيقي، جامعة جدار للدراسات العليا، عمّان، الأردن ط1، 2008م، ج2.

42) أبو الوليد الباجي (ت474هـ)، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

43) ابن يعيش موفق الدّين بن علي (ت643هـ)، شرح المفصّل، إدارة الطّباعة المنيرية مصر، دط، دت، ج8.

44) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب السكّاكي (ت226هـ)، مفتاح العلوم، علّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

4/ الكتب المترجمة:

45) آن ريبول وجاك موشلار، التّداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

46) فان دايك، النّص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتدّاولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، بيروت، لبنان، دط، 2000م.

47) فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جدة، الرياض، ط1، 2011.

5/ المجلاّت:

48) أسماء عبد الباقي محمد، أسلوب النّفي في بعض الأحاديث النبوية الشريفة، صحيح مسلم نموذجاً، مجلّة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ع102.

49) عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجًا (بحث)، مجلّة التراث العربي، اتّحاد كتاب العرب، دمشق، ع 102، 2006.

50) عبد الرحمان بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث مجلّة البحث العلمي في الأدب، جامعة الفيصل، كلية الأمير سلطان، ج2، ع19 2018.

51)محمد العبد، النّص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلّة فصول.

7/ المواقع:

52)جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، www. Alukah . ner

فهرس

فهرس الموضوعات	الصفحة
إهداء	/
مقدّمة.	أ – د
الفصل النّظري: الحجاج بين النّظرية والتّطبيق.	
أوّلا: مفهوم الحجاج.	5
أ- الدّلالة اللّغويّة.	5
ب- الدّلالة الاصطلاحية.	7
ثانيا: نشأة الحجاج.	9
أ- الحجاج عند بيرلمان.	9
ب-الحجاج عند ديكرو.	11
ج- الحجاج عند مايير.	12
د- الحجاج عند تولمين	14
ثالثًا: آليات الحجاج اللّسانيّة.	15
أ- الرّوابط الحجاجيّة.	16
1- الرّابط الواو.	17
2- الرّابط ثمّ.	18
3- الرّابط أو.	18
4- الرّابط لكنّ.	19
5- الرّابط بل.	20
6- الرّابط حتّى.	21
7- الرّابط إنّ.	22
8- الرّابط لأنّ.	23
ب- العوامل الحجاجيّة.	23
1- أسلوب الشّرط.	25
1-1- إذا.	26

2-1- لو. 26

1-أسلوب الاستفهام. 27

2-1- الهمزة. 28

2-2- هل. 29

2-أسلوب النّفي. 29

3-1- لا. 30

3-2- لم. 31

3-أسلوب القصر. 32

4-1- إنّما. 32

4-2- النّفي والاستثناء بـ (ما...إلاّ) وبـ (لا...وإلاّ). 34

5- أسلوب النّداء. 35

5-1- الياء. 36

5-2- أيّها. 37

الفصل التّطبيقي: " الآليات اللّسانيّة الحجاجيّة في مقالات محمّد البشير الإبراهيمي أنموذجًا ".

أوّلاً: الرّوابط الحجاجيّة. 38

1-الرّابط الواو. 38

2-الرّابط ثمّ. 41

3-الرّابط أو. 43

4-الرّابط لكنّ. 44

5-الرّابط بل. 45

6-الرّابط حتّى. 47

7-الرّابط إنّ. 49

8-الرّابط لأنّ. 50

ثانيًا: العوامل الحجاجيّة. 52

1- أسلوب الشّرط. 52

1-1- إذا. 52

1- 2- لو.	54
2-أسلوب الاستفهام.	56
2-1- الهمزة.	56
2-2- هل.	57
3- أسلوب النّفي.	59
3-1- لا.	59
3-2- لم	60
4-أسلوب القصر.	61
4-1- إنّما.	61
4-2- ما ... إلاّ.	63
4-3- لا ... إلاّ.	64
5- أسلوب النّداء.	65
5-1- الياء.	65
5-2- أيّها.	66
خاتمة.	68
ملاحق.	71
قائمة المصادر والمراجع.	/
فهرس الموضوعات.	/
ملخص.	/

ملخّص:

لا يسعى هذا البحث – كما هو واضح من عنوانه – إلى محاولة تتبُّع تاريخ ظهور الحجاج، فهو موضوع شاسع رحب، وقد أُفردت له – كما هو معلوم – العديد من الدّراسات المستقلّة، ولكنَّه يسعى إلى محاولة رصد وتتبُّع الآليات اللّغويّة الحجاجيّة، وتوظيفها فيما خلّفه الإبراهيمي من مقالات عن القضيّة الفلسطينيّة.

ومن هنا اقتضت الدّراسة أنْ نُفرد الفصل الأوّل من البحث للوقوف على بعض المفاهيم، كمفهوم الحجاج، ونشأته، وأهم الآليات اللّغويّة الحجاجيّة، أمّا الفصل الثّاني فقد عرّجنا فيه على أهمّ الرّوابط والعوامل الحجاجيّة، الّتي وظّفها الإبراهيمي، لنخلص إلى أنّ الحجاج ضرورة حتميّة، وآليّة لا بدّ منها في جميع الخطابات والنّصوص والحوارات؛ إذ لا غنى عنه ولا مفرّ منه لإقناع المتلقّي؛ لأنّه يدعو العقول إلى التّفكر والتّدبر الواعي، ومن ثمّ الاقتناع.

Résumé :

Cette recherche , comme il est clair , n'a pas pour but de tenter de retracer la date de l’apparition des pèlerins, c'est un sujet trés vaste qui a été privatisé par de nombreuses études indépendantes, mais elle vise à surveiller et à suivre les mécanismes linguistiques convaincant et à les utiliser dans les .successeur de IBrahimi. Articles Sur la cause palestinienne

Par conséquent, l’étude a néessité de séparar le premier chapitre de la recherche afin de découvrir certains concepts, tels que le concept de pèlerin et son rapport à la langue , et les mécanismes linguistiques convaineant les plus importants, tandis que le deuxième chapitre contient les principaux liens et facteurs de pélerinage que le IBrahimi, utilise dans son texte.

pour conclure que les pèlerins sont une nécessité et dans tous les dialogues, diseours et textes , comme étant indispensables pour lui convaincre le destinataire, car il appelle les esprits à réfléchi, à àdélibérer de maniére conscients, puis à convainere .